١٥٧ فائدة لذكر الله

ألا بذكر الله تطمئن القلوب

تأليف
أ/ محمد محمود عبد الله
مدرس علوم القرآن بالأزهر الشريف



دار عباد الرحمن

احمد حفظي

١٥٧

فائدة لذكر اللّه

بقلم

أ/ محمد بن محمود آل عبد اللّه

مدرس علوم القرآن بالأزهر الشريف

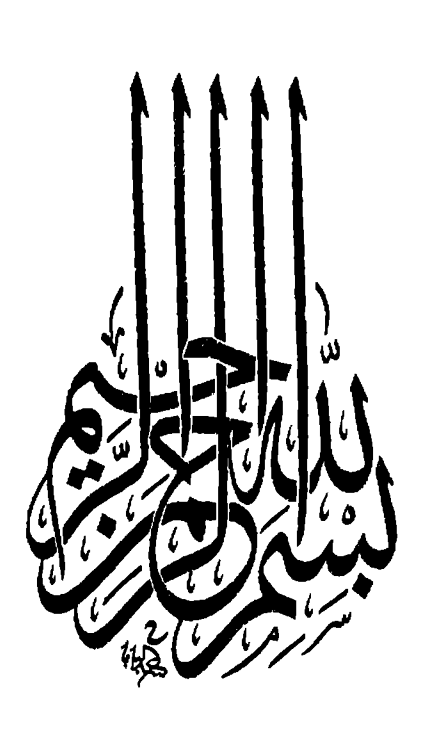


رقم الإيداع

/

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ/٢٠١٣م



١٥٧

فائدة لذكر الله

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي ألزم قلوب الموحدين ذكره، وحبب إليهم نعمة شكره، وألقى على المخلصين سحائب الرضوان ونضرة السرور ومنحهم من فيض نوره بصائر النور فاكتمل النور ببعثة المختار (نور على نور) وبتمام نعمة الإيمان سطع النور أنوارًا.

ومما يسعد به المؤمن ما أخبر به سيد الخلق، وحبيب الحق سيدنا محمد ﷺ بقوله: **«الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلاهَا (لاَ إِلهَ إِلَّا الله) وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»**، ولا إله إلا الله هي كلمة الإخلاص، لذا أفردت هذا البحث في فضائلها ليزداد المؤمنون إيمانًا مع إيمانهم لقول الحق عز ثناؤه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [الأنفال: ٢].

ولا عجب فإن: (لا إله إلا الله) هي كلمة العمار، ومن أجلها خلقت السموات والأرض، والجنة والنار، والجن والإنس.

وهي كلمة الثبات في الحياة وبعد الممات: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وهي القول الطيب: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [الحج: ٢٤].

وهي كلمة الأنس لقوله ﷺ: **«ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة»**.

وهي سبيل دخول الجنة لقوله ﷺ: **«مَنْ قال: لا إله إلا الله مخلصًا بها قلبه دخل الجنة»**.

وهي سبب الخروج من النار ومانع للخلود فيها لمن استحق دخولها لقول الحق عز شأنه في الحديث القدسي: **«أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»**.

وهي وصية نوح عليه السلام لابنه عند موته: أوصيك بـ(لا إله إلا الله) فإنها لو وضعت في كفة والسموات السبع والأرضون السبع في كفة؛ رجحت لا إله إلا الله.

وهي إعلام الحق تعالى بوحدانيته لنبيه خاتم المرسلين سيدنا محمد ﷺ ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩].

وهي أفضل ما ذُكر الله تعالى به لقوله ﷺ: **«أفضل ما قلت أنا والنبيون قبلي لا إله إلا الله»** وفي البحث قطوفٌ من ثمارها.

أسأل الحق تعالى أن ينفع بها الذاكرين المخلصين إنه قريب مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

خادم القرآن والعلم

محمد محمود عبد الله

مدرس علوم القرآن بالأزهر

الذكر في القرآن الكريم

١- ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

٢- ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ [الأعلى: ١٤-١٥].

٣- ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

٤- ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

٥- ﴿ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ [طه: ٣٣-٣٤].

٦- ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ [الحج: ٢٨].

٧- ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩١].

٨- ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ [آل عمران: ٤١].

٩- ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

١٠- ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾ [الكهف: ٢٤].

١١- ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ [المزمل: ٨].

١٢- ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [البقرة: ١٩٨].

١٣- ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

١٤- ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

١٥- ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٣٩].

١٦- ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ ﴾ [النساء: ١٠٣].

١٧- ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة: ١٠].

١٨- ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الحديد: ١٦].

١٩- ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المجادلة: ١٩].

٢٠- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩].

٢١- ﴿ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾ [الكهف: ٢٨].

٢٢- ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [النجم: ٢٩].

٢٣- ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

٢٤- ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

الذكر في الأحاديث النبوية

١ - «لا يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الجَنَّةِ إلاّ عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا»[(١)].

٢ - «كَلامُ ابْنُ آدَمَ كُلُّهُ عَلَيْهِ لا لَهُ، إِلاّ أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهْيًا عَنْ مُنْكَرٍ، أَوْ ذِكْرًا للهِ عَزَّ وَجَلَّ»[(٢)].

٣- عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أنّ رجلاً قال: يا رسول الله، إن أبواب الخير كثيرة، ولا أستطيع القيام بكلها، فأخبرني بشيء أتشبَّثُ به، ولا تُكثر عليَّ فأنسى، قال رسول الله ﷺ: «لاَ يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللهِ»[(٣)].

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ

---

(١) ذكره المنذري في (الترغيب والترهيب) (٢/٤٠١)، ونسبه للطبراني، قال: ورواه البيهقي بأسانيد أحدها جيد.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه في الحديث رقم (٢٤١٤) في كتاب: الزهد، باب رقم (٦٣)، وأخرجه ابن ماجة في الحديث رقم (٣٩٧٤)، في كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، وأخرجه الحاكم في المستدرك، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه في الحديث رقم (٣٣٧٢)، في كتاب الدعوات، باب فضل الذكر، وأخرجه أحمد في مسنده (٤/١٨٨، ١٩٠)، وأخرجه ابن ماجة في سننه في الحديث رقم (٣٧٩٣)، في كتاب الأدب، باب فضل الذِّكر، وأخرجه ابن حبان في صحيحه في الحديث رقم (٢٣١٧)، في كتاب الأذكار، باب فضل الذِّكر والذاكرين، وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/٤٩٥)، وصححه ووافقه الذهبي.

يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللهَ تَعَالَى فِيهِ، إلاَّ قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً»(١).

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ ما ذَكَرَنِي وتحركت بي شفتاه فإن ذكرني فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ منه، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود في الحديث رقم (٤٨٥٥)، في كتاب الأدب، باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه، لا يذكر الله، وأخرجه أحمد في مسنده (٢/٣٨٩، ٤٩٤، ٥١٥، ٥٢٧)، وأخرجه ابن السّنّي في الحديث رقم (٤٤٧) وإسناده صحيح، وصححه الحاكم في مستدركه ووافقه الذهبي. انظر: الأحاديث الصحيحة رقم (٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد (١٠٠)، باب قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ وباب ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ في الأحاديث رقم (٦٩٧٠، ٧٠٦٦، ٧٠٩٨، ٧٠٩٩)، أخرجه مسلم في صحيحه في الحديث رقم (٢٦٧٥) في كتاب الذِّكر باب الحث على ذكر الله تعالى، وفي كتاب التوبة، باب في الحضِّ على التوبة والفرح بها، وأخرجه الترمذي في الحديث رقم (٣٥٩٨)، في كتاب الدعوات، باب رقم (١٣١)، وأخرجه ابن ماجة في سننه في الحديث رقم (٣٨٢١) في كتاب الأدب، باب فضل العمل، وأخرجه أحمد في مسنده (٢/٢٥١، ٤١٣، ٤٨٠، ٤٨٢، ٥٢٤، ٥٣٤).

٦- عن نُبَيْط بن شَرِيط رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«الذِّكْرُ نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ فَأَدُّوا شُكْرَهَا»**(١).

٧- عن الأغر بن مسلم قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد بن مالك بن سنان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: **«لا يَقْعُدُ قَوْمٌ فِي مَجْلِسٍ يَذْكُرُونَ اللهَ فِيهِ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»**(٢).

٨- عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ، وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ، المَيِّتِ»**(٣).

٩- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكّة، فمرَّ على جبل يقال له: جمدان، فقال: **«سِيرُوا، هَذَا جُمْدَانُ؛ سَبَقَ المُفَرِّدُونَ»**، قيل: وما المفرِّدون يا رسول الله؟ قال: **«الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا**

---

(١) حسنه السيوطي في جامعه في الحديث رقم (٤٣٥١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في الحديث رقم (٢٧٠٠) في كتاب الذِّكر والدُّعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذِّكر، وأخرجه الترمذي في الحديث رقم (٣٣٧٥) في كتاب الدعوات، باب القوم يجلسون فيذكرون الله ما لهم من الفضل، وأخرجه أحمد في مسنده (٢/٤٤٧، ٣/٣٣، ٩٤).

(٣) أخرجه البخاري في الحديث رقم (٦٠٤٤) في كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، وأخرجه مسلم في صحيحه في الحديث رقم (٧٧٩) في صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته.

وَالذَّاكِرَاتِ»[١].

١٠- قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «وَاللهِ يَا مُعَاذُ إِنِّي لأُحِبُّكَ، فَلا تَنْسَ أَنْ تَقُولَ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»[٢].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في الحديث رقم (٢٦٧٦) في كتاب الذكر، باب الحث على ذكر الله، وأخرجه الترمذي في سننه في الحديث رقم (٣٥٩٦) في كتاب الدعوات، باب في العفو والعافية.

(٢) أخرجه أبو داود في الحديث رقم (١٥٢٢) في كتاب الصلاة، باب الاستغفار، وأخرجه النسائي في سننه (٣/٥٣) في السهو، باب نوع آخر من الدعاء، وإسناده صحيح، وأخرجه أيضًا أحمد في مسنده (٥/٢٤٥، ٢٤٧)، وأخرجه الطبراني في الدُّعاء، وأخرجه ابن حبان في صحيحه في الحديث رقم (٢٣٤٥) في الأذكار، باب الدعاء بعد الصلاة.

منزلة الذكر

لا شك أنَّ منزلة الذكر هي منزلة عظام القوى الكبرى، التي لا ينالها إلا صفوة الأبرار: وإليها يجدُّون ولأجلها قليلاً من الليل ما يهجعون منها يتزودون، وفيها يُتاجرون فهي التجارة التي لا تبور، وإليها دائمًا وعليها دائمًا يترددون، والذكر قوت القلوب ودواؤها وبدونه تصبح الأجساد قبورًا فبه تدفع الآفات وتكشف الكربات، وتهون المصيبات، إذا أظلهم البلاء، فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل، فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها ينقلبون، ورؤوس أموال سعادتهم التي بها يتاجرون، وفي كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة، والذكر عبودية القلب واللسان، وهي غير مؤقتة، بل هم يأمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال: قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، فكما أن الجنة قيعان، وهو غراسها، فكذلك القلوب[1] بور خراب، وهو عمارتها وأساسها، به يزول الوقر عن الأسماع، والبكم عن الألسن، وتنقشع الظلمة عن الأبصار.

والذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان، والفرق بين الغفلة والنسيان: أن الغفلة ترك باختيار الغافل، والنسيان ترك بغير اختياره،

---

(١) وهذه استعارة من حديث عن إبراهيم عليه السلام أنه قال للنبي ﷺ ليلة الإسراء: «أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، وعذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غرسها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» الترمذي، الدعوات (٣٤٦٢)، حسن غريب.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] ولم يقل: ولا تكن من الناسين، فإن النسيان لا يدخل تحت التكليف فلا ينهى عنه.

وهو جلاء القلوب ودواؤها، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته، قال الحسن البصري: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة: الصلاة والذكر والقرآن فإن وجدتم ذلك، وإلا فاعلموا أن الباب مغلق.

الذِّكر في القرآن

١- الأمر كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

٢- النهي عن ضده من الغفلة والنسيان: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩].

٣- تعلق الفلاح بالإكثار منه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

٤- الثناء على أهله وحسن جزائهم: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

٥- خسران من انشغل عنه بغيره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

٦- أنه سبحانه جعل ذكره لهم جزاء ذكرهم له: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

٧- الإخبار عنه بأنه أكبر من كل شيء: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ

﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، والمعنى: أنه أفضل الأعمال لأن المقصود من الطاعات هو إقامة ذكره، وقيل: إن ذكره سبحانه أكبر من ذكرهم، وقيل: إن الذكر أكبر من كل خطيئة فهو يمحو الخطايا، ولعل الصلاة هي أكبر ما يقام للذكر: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [طه: ١٤].

٨- ختم الأعمال الصالحة به: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠][1].

٩- اختصاص الذاكرين بالانتفاع بآياته: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

١٠- مصاحبته لجميع الأعمال: فإنه سبحانه وتعالى قرنه بالصلاة: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [طه: ١٤]، وقرنه بالصيام وبالحج، وفي الحديث «إنما جُعل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الحجارة لإقامة ذكر الله»[2]

---

(١) وراجع: [البقرة: ٢٠٠].

(٢) الترمذي، الحج (٩٠٢)، وأبو داود، المناسك (١٨٨٨).

١١ - وقرنه سبحانه بالجهاد ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥].

والذاكرون: هم السابقون وهم أهل رحمته والذين يباهي بهم ملائكته[١]، روى مسلم أن رسول الله ﷺ مرَّ على جبل يقال له: جمدان، فقال: «**سِيرُوا، هَذَا جُمْدَانُ؛ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ**»، قيل: وما المفرِّدون يا رسول الله؟ قال: «**الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ**»[٢]، والمفردون إما الموحدون وإما الآحاد الفرادى.

وفي الحديث: «**لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده**»[٣]، قالوا: وفي الحديث أنه ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: «**ما أجلسكم؟**» قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، وما به علينا، قال: «**آلله ما أجلسكم إلا ذلك؟**» قالوا: آلله ما أجلسنا إلا ذلك، قال: «**أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكن أتاني جبريل، فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم ملائكته**»[٤].

---

(١) مسلم، الذكر (٢٧٠١)، بلفظ: «ما أجلسكم ...»، والترمذي، الدعوات (٣٣٧٩).

(٢) مسلم، الذكر (٢٦٧٦)، والترمذي، الدعوات (٣٥٩٦)، وقال ابن عمر: ليلة عرفة بعرفة ليس السابق من سبق بعيره ولكن السابق من غفر له.

(٣) مسلم، الذكر (٢٧٠٠).

(٤) مسلم، الذكر (٢٧٠١)، والترمذي، الدعوات (٣٣٧٩).

والذكر **أفضل الأعمال**: سأل أعرابي رسول الله ﷺ أيُّ الأعمال أفضل؟ فقال: «**أن تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله**»[(١)]، والأحاديث في الذكر كثيرة ومن أراد زيادة فليرجع إلى (الكلم الطيب).

أنواع الذكر: الذكر أنواع ثلاثة: ثناء ودعاء ورعاية.

أما ذكر الثناء فنحو: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

أما ذكر الدعاء فنحو: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، ويا حي يا قيوم برحمتك أستغيث.

وأما ذكر الرعاية: فنحو من يقول: الله معي، الله موجود، الله يرانا، ونحو ذلك مما يستعمل لتقوية الحضور مع الله وفيه رعاية لمصلحة القلب، والأدب مع الله، والتحرز من الغفلة، والاعتصام من الشيطان والنفس.

والأذكار النبوية متضمنة للأنواع الثلاثة: كما في الحديث: «أفضل الدعاء: الحمد لله»[(٢)] قيل لسفيان بن عيينة: كيف جعلها دعاء؟ قال: أما سمعت قول أمية بن الصلت لعبد الله بن جدعان يرجو نائله:

---

(١) الترمذي، الدعوات (٣٣٧٥)، وأحمد (٤/ ١٨٤).

(٢) الترمذي، الدعوات، (٣٣٨٣)، وابن ماجة، الأدب (٣٨٠٠)، والنسائي في عمل اليوم والليلة.

أأذكـر حـاجتي، أم قـد كفـاني ** حيـاؤك؟ إن شـيمتك الحيـاءُ
إذا أثنـى عليـك المـرء يومًـا ** كَفـاه مـن تَعَرضِـهِ الثنـاءُ

فهذا مخلوق واكتفى من مخلوق بالثناء عليه من سؤاله فكيف برب العالمين؟ والأذكار النبوية متضمنة أيضًا لكمال الرعاية، ومصلحة القلب، والتحرز من الغفلات والاعتصام من الوسواس والشيطان، وفيها تعليم القلب مناجاة الرب، تملقًا تارة، وتضرعًا تارة، وثناءً تارةً، وغير ذلك من أنواع المناجاة بالسر والعلن.

منزلة التذكر

ومنزلة التذكر هي منزلة أولي الألباب قال الحق عز ثناؤه: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩]، وهي قرين منزلة الإنابة، قال تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣]، وقال: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٨]، والتفكر والتذكر يثمران أنواع المعارف، وحقائق الإيمان، والعارف لا يزال يتفكر ويتذكر حتى يفتح قفل قلبه بإذن الفتاح العليم، والتذكر ضد النسيان، والتفكر يحدث ثم يغيب بالنسيان، فإذا تذكره وجده.

فمنزلة التذكر من التفكر، ومنزلة حصول الشيء المطلوب بعد التفتيش عليه، ولهذا كانت آيات الله المتلوة والمشهودة ذكرى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [غافر: ٥٣-٥٤][1]، هذا في آياته المتلوة، ومن آياته المشهودة قال تعالى: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٨]، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٦-٣٧].

---

(١) وراجع الزمر (٩)، البقرة (٢٦٩).

والناس ثلاثة:

١- رجل قلبه ميت: فالآيات ليست ذكرى في حقه، فهو أعمى.

٢- ورجل حي القلب مستعد، لكنه غير مستمع للآيات المتلوة إما لعدم ورودها، أو لوصولها إليه وقلبه مشغول عنها، فهو غائب القلب ليس حاضرًا وهذا لا يحصل له الذكرى مع استعداده ووجود قلبه.

٣- ورجل حي القلب مستعد تليت عليه الآيات فأصغى السمع وأحضر قلبه ولم ينشغل بغيرها، فهو شاهد القلب ملق السمع، فهذا الذي ينتفع بالآيات المتلوة والمشهودة، فالأول: بمنزلة الأعمى، والثاني: بمنزلة البصير ... إلى غير جهة المنظور، والثالث: البصير إلى جهة المنظور.

فاعلم أن الرجل قد يكون له قلب وقاد، مليء باستخراج العبر واستنباط الحكم، هذا قلبه يوقعه على التذكر والاعتبار، فإذا سمع الآيات كانت له نورًا، هؤلاء أكمل خلق الله وأعظمهم إيمانًا وبصيرة، فصاحب هذا القلب إذا سمع الآيات ازداد نورًا وحصل له التذكر: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦].

فكل مؤمن يرى هذا ولكن رؤية أهل العلم لها لون آخر.

أساس التذكر: وقد بني التذكر على ثلاث:

١- **الانتفاع بالعظة وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالترغيب** والترهيب، والعظة نوعان: عظة بالمسموع، أي: الانتفاع بما يسمعه من الهدى والرشد والنصائح التي جاءت على أيدي الرسل، وعظة بالمشهود: وهو الانتفاع بما يراه في العالم من مواقع العبر وأحكام القدر من الآيات الدالة على صدق الرسل.

٢- **استبصار العبرة:** وهو زيادة البصيرة عما كانت عليه في منزل التفكر بقوة الاستحضار؛ لأن التذكر يعتقل[١] المعاني التي حصلت بالتفكر في مواقع الآيات والعبر، فهو يظفر بها بالتفكر وتصقل وتنجلي بالتذكر، فتكون دافعًا له على السير بحسب قوة الاستبصار.

٣- **الظفر بثمرة الفكرة:** لأن القلب إذا حصل على المعاني ثم عاد فتذكر ما كان حصّله فابتهج به وفرح به، فأخذ الثمرة المقصودة وهي العمل الصالح الذي هو ثمرة العلم النافع أي ثمرة التفكير، ومثال ذلك: طالب المال الذي يجتهد في طلبه ويتعب فإذا ظفر به استراح، ثم أخذ يصرفه في وجوه الانتفاع المطلوب به.

ويفتقر العبد إلى العظة -وهي الترغيب والترهيب- إذا ضعفت إنابته وتذكره وإلا فمتى قويت إنابته وتذكره: لم تشتد حاجته إلى التذكر

---

(١) ومنه عقلت الكلام، وعقلت معناه: إذا حبسته في صدرك، وحصلته في قلبك بعد أن لم يكن حاصلاً عندك.

والترغيب والترهيب، ولكن تكون الحاجة منه شديدة إلى معرفة الأمر والنهي، والموعظة مقيدة بوصف الإحسان إذ ليست كل موعظة حسنة: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل: ١٢٥] ولا تنفع الموعظة إلا لمن آمن به ورجاه وخاف عذابه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾ [هود: ١٠٣]، ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ﴾ [النازعات: ٤٥]، ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ﴾ [الأعلى: ١٠]، ﴿ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق: ٤٥]، فالإيمان بالوعد والوعيد وذكره شرط في الانتفاع بالعظات والآيات والعبر.

والعبرة هي الاعتبار وحقيقتها العبور من حكم الشيء إلى حكم مثله، فإذا رأى من قد أصابته محنة وبلاء لسبب ارتكبه، علم أن حكم من ارتكب ذلك السبب كحكمه: ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [الحشر: ٢].

وتتحقق العبرة:

١- **بحياة العقل:** وهي صحة الإدراك، وقوة الفهم وجودته، والانتفاع بالشيء أو التضرر به، وهو نور من الله يهبه من يشاء.

٢- **ومعرفة الأيام وبأنها قصيرة:** وأنها أنفاس معدودة، فلا يصرف منها نفسًا إلا في أحب الأمور إلى الله، وكذلك يتذكر أيام الله التي أمر الرسل بتذكير أممهم بها: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ

أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ﴾ [إبراهيم: ٥]، وفسرت أيام الله بنعمه التي ساقها إلى أوليائه، وفسرت بنقمه التي أوقعها بأعدائه، والصواب: أنها تعم النوعين، فمعرفة هذه الأيام توجب للعبد استبصار العبر، وبحسب معرفته بها تكون عبرته وعظته: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [يوسف: ١١١].

٣- السلامة من الأغراض: وهي متابعة الهوى والانقياد لداعي النفس الأمارة بالسوء، فإن اتباع الهوى يطمس نور العقل، ويعمى بصيرة القلب، ويصد عن اتباع الحق، فلا تحصل بصيرة العبرة، والعبد إذا اتبع هواه فسد رأيه ونظره، والتبس عليه الحق بالباطل، فأنى له الانتفاع بالتذكر، أو بالتفكر أو بالعظة؟

ثمرة الفكرة:

في منزل التذكر تجتنى ثمرة الفكرة؛ لأنه أعلى منها، وكل مقام تجتني ثمرته في الذي هو أعلى منها؛ لأن كل مقام يصحح ما قبله، وهذه الثمرة تجتني بثلاثة:

١- قصر الأمل: وهو العلم بقرب الرحيل وسرعة انقضاء الأيام، فهذا يدفعه إلى العمل المتواصل وانتهاز الفرص التي تمر مر السحاب، ويحثه على قضاء جهاز سفره وتدارك الفارط، ويزهده في الدنيا ويرغبه في الآخرة: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧]، ﴿ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡ ﴾ [يونس: ٤٥]، ﴿ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ﴾ [النازعات: ٤٦]، ﴿ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٣-١١٤]، ﴿ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭ ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ﴿ يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ﴿١٠٣﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا ﴾ [طه: ١٠٣-١٠٤].

وقصر الأمل بناؤه على أمرين: تيقن زوال الدنيا، وتيقن لقاء الآخرة ودوامها، ثم يقايس بين الأمرين ويختار!

٢- التأمل في القرآن: والمقصود التدبر والفهم لا مجرد التلاوة، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩]، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]، ﴿ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

ومن التدبر أن يطلع العبد على معالم الخير والشر وأسبابها وثمراتها وحال أهلها، ويرى صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار وأيام الله، ويبصر مواقع العبرة ويشهد عدل الله وفضله، ويعرف ربه وأسماءه وصفاته وأفعاله وما يحب وما يكره، والطريق إليه، وما له من الكرامة إذا ما قدم عليه، كما يعرف ما يدعو إليه الشيطان والطريق الموصل إليه، وما

للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه، وفي تأمل القرآن وتدبره وفهمه أعظم الكنوز التي لا تحصى.

٣- تجنب مفسدات القلب: فصاحب القلب الحي يعلم أنه لا نعيم له ولا لذة إلا بمعرفة الله ومحبته والطمأنينة بذكره، ولا فرح له إلا بقربه والشوق إلى لقائه.

قال البعض: مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها، قالوا: ما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله والأنس به، والشوق إلى لقائه، والإقبال عليه والإعراض عما سواه.

مفسدات القلب هي التي تسبب هلاكه وتودي بحياته ... منها:

١- أصدقاء السوء: وهذه الخلطة تسود القلب، وتوجب له تشتتًا وتفرقًا، وهمًا وغمًا، وضعفًا، وتضييع وقته ومصالحه، فماذا يبقى منه لله والدار الآخرة؟ هذا وكم جلبت خلطة هؤلاء من نقمة، ودفعت من نعمة، وأنزلت من محنة وعطلت من منحة، وأحلت من رزية، وأوقعت في بلية؟ وهذه الخلطة التي تتكون على نوع مودة في الدنيا، تنقلب إذا حقت الحقائق عداوة لقول الحق عز ثناؤه ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧]، ويعض المخلط عليها يديه ندمًا كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى

وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩]، ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٥]، فهؤلاء يجتمعون على مودة تعقبها ندامة وعداوة والضابط النافع في أمر الخلطة: أن يخالط الناس في الخير، كالجمعة والجماعة، والأعياد والحج وتعلم العلم، والجهاد والنصيحة، ويعتزلهم في الشر، فإن دعت الحاجة إلى خلطتهم في الشر، فالحذر أن يوافقهم، وليصبر على أذاهم، وإن دعت الحاجة إلى خلطتهم في فضول المباحات فليجتهد أن يقلب ذلك المجلس إلى طاعة الله، وليستعن بالله.

٢- **التعلق بغير الله:** فإنه إن تعلق بغير الله وكله إلى ما تعلق به، وخذله من جهة ما تعلق به، فلا على نصيبه من الله حصل، ولا على ما أمله ممن تعلق به وصل، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [مريم: ٨١-٨٢]، ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴾ [يس: ٧٤-٧٥]، فأساس الشرك وقاعدته التي بني عليها التعلق بغير الله، ولصاحبه الذم والخذلان، فكما قال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ [الإسراء: ٢٢].

مذمومًا لا حامد لك، مخذولاً لا ناصر لك إذ قد يكون بعض الناس مقهورًا محمودًا، كالذي قهر بباطل، وقد يكون مذمومًا منصورًا، كالذي قهر وتسلط عليه بباطل وقد يكون محمودًا منصورًا كالذي تمكن وملك بحق، والمشرك المتعلق بغير الله قسمه أردأ الأقسام الأربعة، لا محمود ولا منصور.

٣- التمني: فمن الناس من يعيش على الأماني الكاذبة والخيالات الباطلة ومواعيد الشيطان فهي أماني خداع وغرور، وقيل: إن المنى رأس أموال المفاليس، وبضاعة ركَّابه مواعيد الشيطان، وخيالات المحال والبهتان، فلا تزال أمواج الأماني الكاذبة، والخيالات الباطلة تتلاعب براكبه كما تتلاعب الكلاب بالجيفة، وهي بضاعة كل نفس مهينة خسيسة، ليست لها همة تنال بها الحقائق الخارجية، بل اعتاضت عنها بالأماني الذهنية، ولكن صاحب الهمة العالية أمانيه حائمة حول العلم والإيمان والعمل وتمني الخير الذي مدحه النبي ﷺ وربما كان أجره كأجر فاعله، كالقائل يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان الذي يتقي ربه في ماله ويصل رحمه ويخرج منه حقه، وقال: (هما في الأجر سواء)[١].

---

(١) الترمذي، الزهد (٢٣٢٥)، وأحمد (٤/ ٢٣٠)، وابن ماجة، كتاب الزهد (٤٢٢٨) بلفظ: «مثل هذه الأمة».

٤- الطعام: ومنه المفسد لذاته كالمحرمات، أو بتعدي حده كالإسراف في الحلال والشبع المفرط؛ لأن يثقله عن الطاعات ويشغله بمؤونة بطنه، ومن أكل كثيرًا شرب كثيرًا فنام كثيرًا فخسر كثيرًا، وفي الحديث: (ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا بد فاعلاً فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه)[1].

٥- كثرة النوم: فإنه يميت القلب ويثقل البدن، ويضيع الوقت ويورث الغفلة والكسل، وأنفع النوم ما كان عند شدة الحاجة إليه -ومن المكروه ما كان بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، فإنه وقت غنيمة ونزول الأرزاق وحلول البركة، ومدافعة النوم وهجره، تورث سوء المزاج، وانحراف النفس وجفاف الرطوبات المعينة على الفهم والعمل، ويورث أمراضًا متلفة لا ينتفع صاحبها بقلبه ولا بدنه معها وما قام الوجود إلا بالعدل، فمن اعتصم به فقد أخذ بحظه من مجامع الخير، والله المستعان.

---

(١) الترمذي، كتاب الزهد (٢٣٨٠)، وابن ماجة، الأطعمة (٣٣٤٩)، وأحمد (٤/ ١٣٢).

منزلة التبتل

قال الحق جل وعلا: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨].

والتبتل: هو الانقطاع، ولذا سميت مريم بالبتول؛ لانقطاعها عن الأزواج، وعن أن يكون لها نظراء من نساء زمانها، والمقصود: الانقطاع إلى الله بالكلية وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ [الرعد: ١٤] أي التجرد المحض، والمقصود: التبتل عن ملاحظة الأعواض[١] بحيث لا يكون المتبتل كالأجير الذي لا يخدم إلا لأجل الأجرة، فإذا أخذها انصرف عن باب المستأجر، وقد فسر السلف (دعوة الحق) بالتوحيد والإخلاص فيه والصدق ومرادهم هذا المعنى، والله تعالى صاحب دعوة الحق لذاته وصفاته فهو أهل أن يعبد وحده، ويقصد ويشكر ويحمد ويحب ويرجى ويخاف ويتوكل عليه ويستعان به ويستجار به ويلجأ إليه، فتكون له وحده الدعوة الإلهية الحق له وحده، ومن قام بقلبه هكذا، صح له مقام التبتل، والتجريد المحض.

أركان التبتل: يقوم التبتل على الانفصال والاتصال:

١- فالانفصال: هو انقطاع القلب عن حظوظ النفس المزاحمة لمراد الرب وعن التفات قلبه إلى ما سوى الله.

---

(١) لا يهتم بالمقابل ويحتسبه عند الله.

٢- والاتصال: أي اتصال القلب بالله وإقباله عليه وإقامة وجهه له حبًا وخوفًا ورجاءً وإنابة وتوكلاً.

أثر التبتل:

واعلم أن من رضي بحكم الله عز وجل لم يبق لرجاء الخلق في قلبه موضع، ومن سلَّم نفسه لله وأودعها عنده وعلم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، ولم يبق لخوف المخلوقين في قلبه موضع، فإن نفسه التي يخاف عليها قد سلمها إلى وليها ومولاها، وعلم أنه لا يصيبها إلا ما كتب لها، وأن ما كتب لها لا بد أن يصيبها، فلا معنى للخوف من غير الله بوجه، ومن أسلم نفسه لله فقد أودعها عنده وأحرزها في حرزها في حرزه وجعلها في رعايته وحفظه فلا ينالها كيد عدو ولا بغي باغ، وهذا هو الانقطاع عن الخلق، ولا يكتمل التبتل إلا بالانقطاع عن النفس بمجانبة الهوى ومخالفته، ونهى نفسه عنه، وتنسم روح الأنس بالله، والروح للروح كالروح للبدن فهو روحها وراحتها، وإنما حصل له هذا الروح لما أعرض عن هواه، إذ النفس لا بد لها من تعلق، فإذا انقطع تعلقها عن هواها وجدت روح الأنس بالله، وهبت عليها نسماته فيجاهد ويصدع بالحق عند من يخافه ويرجوه، قد زهد في مدحهم وثنائهم، يصيح فيهم بالنصائح جهارًا ويعلن لهم بها، ويسر لهم إسرارًا، ولا يخشى في الله لومة لائم.

منزلة السكينة والطمأنينة

١- السكينة: منزلة من منازل المواهب، لا من منازل المكاسب[١]، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى السكينة التي معناها الطمأنينة في خمسة مواضع من آيات التنزيل هي:

أ- ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[التوبة: ٢٦].

ب- ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾[التوبة: ٤٠].

ج- ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[الفتح: ٤].

د- ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[الفتح: ١٨].

هـ- ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الفتح: ٢٦].

وكان الإمام ابن تيمية إذا اشتدت عليه الأمور قرأ آيات السكينة، وقد جربت[٢] قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب، فرأيت لها تأثيرًا عظيمًا في سكونه وطمأنينته.

---

(١) أي أنها موهبة من الله وليست من كسب العبد.

(٢) هو ابن القيم رحمه الله وألحقنا به في الصالحين.

أثر السكينة:

وأصل السكينة هي الطمأنينة والوقار ينزلها الله تعالى في قلب عبده عند اضطرابه من شدة المخاوف فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، فيزداد الإيمان ويقوى ويثبت، ولذلك أخبر الله تعالى عند إنزالها على رسوله والمؤمنين في مواضع القلق والاضطراب كيوم الهجرة، إذ هو وصاحبه في الغار، والعدو فوق رأسيهما، لو نظر أحدهما إلى ما تحت قدميه لرآهما، وكيوم حنين حين ولوا مدبرين من شدة بأس الكفار لا يلوي منهم أحد على أحد، وكيوم الحديبية، والسكينة إذا نزلت على القلب اطمأن بها وسكنت الجوارح، وخشعت، وأنطقت اللسان بالصواب والحكمة، قال ابن عباس: (كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر وقلبه).

والسكينة تشتمل على النور والقوة والروح، فالروح فيها حياة القلب التي توجب اليقظة والفطنة وحضوره وانتباهه وتأهبه للقائه، والنور يكشف له عن دلائل الإيمان ويميز له بين الحق والباطل والهدى والضلال والشك واليقين، والقوة توجب له الصدق وصحة المعرفة وقهر داعي الغي والعنت، وضبط النفس عن جزعها وهلعها، واسترسالها في النقائص والعيوب، ولذلك ازداد بالسكينة إيمانًا مع إيمانه، وبالروح تكون حياة القلب، والحياة توجب يقظته، وانتباهه من الغفلة، وتأهبه للقائه.

فإذا حصلت هذه الثلاثة بالسكينة: وهي النور، والحياة والروح،

وسكن إليها العاصي، وصار سكونه إليها عوض سكونه إلى الشهوات والمخالفات، واستراحت نفسه بها، ومن معاني السكينة أيضًا، السكينة عند المعاملة:

(١) بمحاسبة النفس، حتى تعرف ما لها وما عليها، فالنفس لا تزكو ولا تطهر إلا بمحاسبتها.

(٢) وبملاطفة الخلق وهي معاملتهم بما يجب أن يعاملوه به، وإنك إما تعامل أجنبيًا فتكسب مودته ومحبته، وإما صاحبًا وحبيبًا فتستديم صحبته ومودته، وإما عدوًّا فتطفئ بلطفك جمرته وتستكفي شره.

(٣) بمراقبة الحق سبحانه: وهي الموجبة لكل صلاح وخير، وهي أساس المعاملات، فمراقبة الله -سبحانه وتعالى- توجب إصلاح النفس، واللطف بالخلق.

٢- الطمأنينة:

والطمأنينة أثر من آثار السكينة، وهي سكون القلب إلى الشيء وعدم اضطرابه وقلقه، ومنه الأثر المعروف: (الصدق طمأنينة والكذب ريبة)[١] أي أن الصدق يطمئن إليه السامع ويكن إليه، والكذب يوجب له اضطرابًا وارتيابًا ومنه قوله ﷺ(البر ما اطمأن إليه القلب)[٢]، قال تعالى:

---

(١) الترمذي، كتاب صفة القيامة (٢٥١٨)، وأحمد (١/ ٢٠٠).

(٢) الدارمي في البيوع، باب (٣)، وأحمد (٤/ ١٩٤).

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ (٢٧) ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ (٢٨) فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي (٢٩) وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴾ [الفجر: ٢٧-٢٩]، وقال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨] وفي ذكر الله هاهنا قولان:

أحدهما: أنه ذكر العبد ربه فإنه يطمئن إليه قلبه ويسكن، فإذا اضطرب القلب فليس له ما يطمئن به سوى ذكر الله، والثاني وهو الأصح: أن ذكر الله ها هنا القرآن الكريم وهو الذكر الذي أنزله على رسوله، فإن القلب لا يطمئن إلا بالإيمان واليقين ولا سبيل إلى حصول طمأنينة القلب بالإيمان واليقين إلا من القرآن، فالقرآن هو المحصل لليقين الدافع للشكوك والظنون، ولا ينتفع بالقرآن من لم يفقهه ويتدبره ويتلوه حق تلاوته، ومن أعرض عن ذكره قيض الله له شيطانًا يضله ويصده عن السبيل، وهو يظن أنه على هدى: ﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴾ [الزخرف: ٣٦]، ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا ﴾ [طه: ١٢٤].

أما المؤمنون فقد جعل الله في قلوبهم طمأنينة وبشرهم بالجنة: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ (٢٧) ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ (٢٨) فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي (٢٩) وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴾ [الفجر: ٢٧-٢٩].

السكينة والطمأنينة:

الطمأنينة موجب السكينة، وأثر من آثارها، وكأنها نهاية السكينة وهي سكون القلب مع قوة الأمن الصحيح، لا أمن الغرور، والسكينة تصول على الهيبة الحاصلة في القلب فتخمدها، فيسكن القلب وهذا يكون لأهل الطمأنينة.

وإن المبتلي إذا قويت مشاهدته للمثوبة سكن قلبه واطمأن بمشاهدة العِوَض، ويشتد به البلاء إذا غاب عنه ملاحظة الثواب، فكثير من العقلاء إذا تحقق نفع الدواء الكريه، فإنه يلتذ به، وملاحظته لنفعه تنسيه مذاقه أو تخفضه عنه والعمل المعول عليه إنما هو على البصائر، والله أعلم.

قواعد في الأذكار

من الواجب على كل من شرح الله تعالى صدره للإسلام أن يحفظ ألفاظ الأذكار كما وردت عن النبي ﷺ لأنها خرجت من فم النبي ﷺ هكذا؛ لأن الرسول ﷺ يُحب أن تنطق بها نطق كما في حديث البراء بن عازب في أذكار النوم.

لا تكثر على نفسك، واحتفظ من الأذكار ما تستطيع أن تداوم عليه، وبخاصة الأذكار الكثيرة، كأذكار النوم، فاحفظ ثلاثة أذكار أو أربعة أذكار إذا استطعت ذلك، فخير العمل القليل الدائم(١).

ومن الثابت أن الذكر هو حياة القلوب، فلا تعجل في أداء الذكر حتى تنتهي منه، ولكن تأنى في ذلك، واجمع بين ذكر اللسان، وتفكر القلب، فإن الله تعالى جمع لأهل الإيمان هاتين الصفتين العظيمتين في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

واعلم أنَّ الطهارة للذكر أمر مستحب؛ لأن الذكر مقام مجالسة الرب جل وعلا، أما الطاعة فهي مقام المحبة لما جاء في الحديث القدسي: (أهل

---

(١) انظر: رسالة القواعد العشرون في الانتفاع بالوقت الثمين.

ذكري أهل مجالستي، وأهل طاعتي أهل محبتي وأهل شكري ، أهل زيادتي وأهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي فإن تابوا إليّ فأنا حبيبهم وإن لم يتوبوا إليّ فأنا طبيبهم وأنا أرحم بعبدي من الوالدة بولدها) والطهارة تُوجب حب الرب سبحانه للعبد مثل التوبة لقول الحق جل وعلا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] لأن النبي ﷺ كره أن يذكر الله عز وجل على غير طهر[١]؛ لكن إذا شق عليك ذلك فعليك بالذكر حسب ما استطعت ولا تضيع هذا الأجر العظيم والثواب الجزيل، فالطهارة ليست شرطًا للذكر إلا في الصلاة أما خارجها فكما علمت هي أمر مستحب.

والأفضل أن نعقد الأذكار على الأصابع باليد ولا تستخدم المسبحة[٢]، فلو أن فيها خيرًا لاستخدامها سيد الخلق رسول الله محمد ﷺ .

(١) ومما يسعد به الذاكرون أن الله جل جلاله: يذكر من يذكره ويباهي به الملائكة، قال الله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

(١) انظر: حديث رقم (١٨).

(٢) انظر كتاب العلامة بكر بن عبد الله أبي زيد حفظه الله «تصحيح الدعاء».

١- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل: **«أنا عند ظن عبدي[١] بي، وأنا معه[٢] حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي[٣]، وإن ذكرني في ملأ ذكرته[٤] في ملأ خيرٍ منه، وإن تقرب مني شبرًا تقربت[٥] إليه ذراعًا، وإن تقرب إلي ذراعًا تقربت منه باعًا، وإن أتاني[٦] يمشي أتيته هرولة»**[٧].

٢- عن أبي سعيد الخدري قال: خرج معاوية على حَلْقة في المسجد، فقال: (ما أجلسكم؟) قالوا: جلسنا نذكر الله جل وعلا، قال: (آلله ما أجلسكم إلا ذاك) قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: (أما إني لم

---

(١) «قال القاضي: معناه: بالغفران له إذا استغفر، والقبول إذا تاب والإجابة إذا دعا، والكفاية إذا طلب الكفاية»، انظر: شرح النووي على شرح صحيح مسلم (١٧/٥).

(٢) هذه المعية معية خاصة وهي معية النصرة والتأييد والقبول، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨].

(٣) نثبت لله ما أثبته لنفسه وأثبته له رسول الله ﷺ كما ورد في الأحاديث الصحيحة فالله عز وجل أثبت أن له نفسًا فنحن نثبتها، بما يليق بجلاله وكماله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

(٤) صفة الذكر والتقرب والإتيان، هي صفات نثبتها لله عز وجل بما يليق بجلاله وعظمته سبحانه وتعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، انظر: تهذيب معارج القبول، طبعة مؤسسة قرطبة.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

(٧) أخرجه مسلم (٢٦٧٦) وانفرد به من طريق جرير بن عبد الحميد، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة.

أستحلفكم تهمة لكم) وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثًا مني، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: (ما أجلسكم؟) قالوا: جلسنا نذكر الله جلَّ جلاله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومَنَّ به علينا، قال: (آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟) قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: (أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ؛ ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة)[١].

(٢) تواتر[٢] الخيرات على الذاكر لربه:

٣- عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أنهما شهدا على النبي ﷺ أنه قال: (لا يقعد قوم يذكرون الله جل شأنه إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله جل وعلا فيمن عنده)[٣].

(٣) الذكر أفضل الأعمال:

٤- عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها[٤] عند مليككم[٥]، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من**

---

(١) أخرجه مسلم (١-٢٧)، والترمذي (٣٣٧٩)، والنسائي في الصغرى (٥٤٤١) كلهم من طريق أبي سعيد الخدري، عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

(٢) تواتر: تتابع.

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٠٠)، والترمذي (٣٣٧٨)، وابن ماجة (٣٧٩١) كلهم من طريق أبي مسلم المدني القاص عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٤) أزكاها: أنماها وأنقاها، والزكاة: النماء والبركة.

(٥) مليككم: المليك بمعنى المالك، والمقصود: عند ربكم ومالككم.

إنفاق الذهب والوَرِق[١]، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقكم ويضربوا أعناقكم»[٢] قالوا: بلى، قال: «ذكر الله عز وجل»[٣].

٥- عن عبد الله بن بُسر أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كَثُرت علي، فأخبرني بشيء أتشبث[٤] به، قال: (لا يزال لسانك رطبًا[٥] من ذكر الله)[٦].

(٤) الذكر على كل حال:

٦- عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ يذكر الله سبحانه على كل أحيانه)[٧].

---

(١) الوَرِق: بفتح الواو وكسر الراء: الفضة، والمقصود بالإنفاق في سبيل الله عز ثناؤه بنفائس الأموال.

(٢) المقصود: الجهاد في سبيل الله جلَّ ذكره.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجة (٣٧٩٠) كلاهما من طريق عبد الله بن قيس أبي بحرية عن أبي الدرداء، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢٦٢٩).

(٤) أتشبث به: أي أتعلق به وأستمسك من فضائل الأعمال بعد الفرائض، ويكون فيه كثرة الحسنات، وعلو الدرجات، ووفور الخيرات.

(٥) رطبًا: طريًا قريب العهد منه، وهو كناية عن المداومة على الذكر. انظر: تحفة الأحوذي (٢٥٦/٩، ٢٥٧).

(٦) أخرجه الترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجة (٣٧٩٣) كلاهما من طريق عمرو بن قيس عن عبد الله بن بسر

(٧) أخرجه البخاري تعليقًا في كتاب: الأذان باب رقم (١٩)، ومسلم (٣٧٣).

معنى لا إله إلا الله

أي لا معبود بحق إلا الله ولا يجوز لنا أن نقول: إن معناها: لا خالق إلا الله، أو لا قادر على الإيجاد من العدم إلا الله أو لا موجود إلا الله وذلك لأمور منها:

١- أن كلمة إله عند العرب تعني فِعَال بمعنى مفعول كغراس بمعنى مغروس، وفراش بمعنى مفروش، وكتاب بمعنى مكتوب، فإله: فعال بمعنى مفعول أي مألوه، والتأله في لغة العرب معناه: التعبد ومألوه معناه: معبود، ومنه قول رؤبة بن العجاج:

لله در الغانيات المده ** سبحن واسترجعن من تألهي

ومنه تسمية الشمس بالإلهة؛ سميت بذلك لأن قومًا كانوا يعبدونها، قال الشاعر في شأنها:

فبادرنا الإلهة أن تئوبا

٢- أن كفار قريش والمشركين في الجاهلية لا ينكرون أنه لا خالق إلا الله، أو لا قادر على إيجاد الكائنات من العدم إلا الله، وقد أكد القرآن العظيم حقيقة إسنادهم الخلق للخالق عز شأنه، إذا ما سألهم رسول الله ﷺ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] وأشعارهم في الجاهلية مليئة بالإقرار بهذا الأمر أعني توحيد الربوبية؛ ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى:

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ** ليخفى ومهما يكتم الله يعلم

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ** ليوم الحساب أو يعجل فينقم

ومنه قول حاتم الطائي:

أما والذي لا يعلم السر غيره ** ويحيي العظام البيض وهي رميم

٣- أن كفار قريش لما قال لهم الرسول الاكرم ﷺ (قولوا لا إله إلا الله)؛ قالوا كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥]، فما الذي فهمه كفار قريش هل فهموا من لا إله إلا الله أن معناه لا خالق أو لا قادر على الإيجاد من العدم إلا الله؟ الجواب: لا، لأنهم لا ينكرون ذلك، إنما أنكروا أن تكون العبادة كلها لله وحده لا شريك له، إذًن فمعنى لا إله إلا الله: أي لا معبود بحق إلا الله وقدرنا كلمة (بحق) لأن المعبودات التي ليست بحق كثيرة ولكن المعبود الحق سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ [الحج: ٦٢].

أركانها

للشهادة ركنان هما:

١- نفي في قوله: (لا إله).

٢- وإثبات في قوله: (إلا الله) فـ (لا إله) نفت الألوهية عن كل ما سوى الله عز وجل، و(إلا الله) أثبتت الألوهية لله وحده لا شريك له، وهذا الأسلوب يعرف في البلاغة بأسلوب القصر وهو أسلوب عربي معروف، وجملة القصر في قوة جملتين إحداهما مثبتة والأخرى منفية، وهذا الأسلوب من أقوى الأساليب التي يؤتى بها لتمكين الكلام وتقريره في الذهن، لدفع ما فيه من إنكار أو شك، وطريق القصر في كلمة التوحيد: النفي والاستثناء، ولا إله إلا الله في قوة قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقوله عز شأنه: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: ٢٩].

مكانة لا إله إلا الله

لقد اجتمع لكلمة الإخلاص فضائل جمة، وثمرات لا تحصى ولكثرة فضائلها كثرت أسماؤها، وما ذلك إلا لعظم ما تحمله تلك الكلمة في طياتها من عمق في المعنى والمدلول، فشأنها عظيم ونفعها عميم، وفضائلها يقصر دونها الحصر والعد، ولكن هذه الفضائل لا تنفع قائلها بمجرد النطق بها فقط، ولا تتحقق إلا لمن قالها مؤمنًا بها عاملاً بمقتضاها.

ثمرات لا إله إلا الله

وفيما يلي نجني قطوفًا من ثمارها مما هو مثبت في كتب أهل العلم في فضائل تلك الكلمة، وبيان أهميتها:

١- أنها أعظم نعمة أنعم الله تعالى بها على عباده حيث هداهم إليها؛ ولهذا ذكرها في سورة النحل التي هي سورة النِّعم فقدمها على كل نعمة فقال عز شأنه: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل: ٢].

٢- وهي العروة الوثقى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] (قاله سعيد بن جبير والضحاك).

٣- وهي العهد الذي ذكره الله عز وجل إذ يقول: ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ [مريم: ٨٧].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هي شهادة أن لا إله إلا الله، والبراءة من الحول والقوة إلا بالله، وألا يرجو إلا الله عز وجل.

٤- وهي الحسنى التي ذكرها الله سبحانه في قوله: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٥-٧]، (قاله أبو عبد الرحمن السلمي ورواه عن ابن عباس).

٥- وهي كلمة الحق كما في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا من شهد بالحق وهم يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٦].

٦- وهي كلمة التقوى التي ذكرها الله عز شأنه في قوله: ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ [الفتح: ٢٦].

٧- وهي القول الثابت: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

٨- وهي الكلمة الطيبة المضروبة مثلاً في قول الله عز ثناؤه: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

فأصلها ثابت في قلب المؤمن، وفرعها في العمل الصالح، صاعد إلى الله عز وجل، فالكلمة الطيبة هي كلمة الإخلاص والشجرة الطيبة هي النخلة وقد شبه الله سبحانه وتعالى كلمة الإخلاص بالنخلة لأمور منها:

أ- أن النخلة لا بد لها من ثلاثة أشياء: عرق راسخ، وأصل قائم، وفرع عال كذلك الإيمان لا بد له من ثلاثة أشياء: تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأبدان.

ب- أن النخلة لا تثبت في كل أرض، كذلك كلمة التوحيد لا تستقر في كل قلب، بل في قلب المؤمن فقط.

ج- أن النخلة عرقها ثابت بالأرض، وفرعها مرتفع، كذلك كلمة التوحيد أصلها ثابت في قلب المؤمن، فإذا تكلم بها عرجت فلا تحجب حتى تنتهي إلى الله عز وجل، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

د- أن النخلة يؤكل ثمرها ليلاً ونهارًا، صيفًا وشتاءً، إما تمرًا، أو بسرًا، أو رطبًا، كذلك عمل المؤمن يصعد أول النهار وآخره، وبركة إيمانه لا تنقطع أبدًا بل تصل إليه في كل وقت[١]، وإلى ذريته وأحفاد أحفاده من بعده وصدق الحق إذ يقول: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ [الكهف: ٨٢].

وفيه بيان أنَّ صلاح الآباء مدخرٌ عند قيوم السموات والأرض للأبناء والأحفاد.

٩- وهي سبيل الفوز بالجنة، والنجاة من النار: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وكما في الحديث المتفق عليه: (من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق ... أدخله الله تعالى الجنة على ما كان من العمل)[٢].

---

(١) انظر: تفسير البغوي معالم التنزيل (٤/ ٢٤٧).

(٢) البخاري (٤/ ١٣٩)، ومسلم (١/ ٥٧).

١٠- أنها سبب مانع للخلود في النار لمن استحق دخولها، كما في حديث الشفاعة: (أخرجوا من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه مثقال ذرة من إيمان)[١].

فأهل لا إله إلا الله وإن دخلوها بتقصيرهم في حقوقها فإنه لا بد أن يخرجوا منها كما في الصحيحين: (يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير)[٢].

١١- أن من قالها يبتغي بها وجه الله تعالى فإن الله عز وجل يحرمه على النار، كما في حديث عتبان المتفق عليه: (فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)[٣].

١٢- ولأجلها خُلقت الجن والإنس: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

١٣- وهي سبيل السعادة في الدارين: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

---

(١) البخاري مع الفتح (١١/٤٢٤) برقم (٦٥٦٠)، ومسلم (١/١٧٠) رقم (١٨٣)، والنسائي (٨/١١٣)، والترمذي (٤/٧١٤) رقم (٢٥٩٨)، وابن ماجة (٦٠).

(٢) البخاري مع الفتح رقم (٤٤)، ومسلم (١/١٨٢) برقم (١٩٣).

(٣) البخاري (١/ ١١٠)، ومسلم (١/ ٦١).

١٤- وهي أول واجب على المكلف قال ﷺ (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله)(١).

١٥- وهي آخر واجب على المكلف، فمن كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة كما في حديث معاذ (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)(٢).

١٦- وهي التي لأجلها أرسلت الرسل وأُنزلت الكتب: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

١٧- وهي مفتاح دعوة الرسل، فالرسل عليهم السلام دعوا إليها جميعًا فكلهم يقول لقومه: ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ٥٩].

١٨- وهي أحسن الحسنات وأفضلها قال أبو ذر: قلت يا رسول الله: علمني عملاً يقربني من الجنة ويباعدني من النار، قال رسول الله ﷺ: **«إذا عملت سيئة فاعمل حسنة فإنها عشر أمثالها»** قال: قلت: يا رسول الله أمن الحسنات لا إله إلا الله؟ قال ﷺ: **«هي أفضل الحسنات»**(٣).

---

(١) البخاري رقم (٢٥)، ومسلم (٢٠).

(٢) رواه أبو داود (٣١١٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٥١)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ١٦٩) (١٣٧٣)، وصحيح الجامع (٦٩٠).

١٩- وهي الحسنة: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

إذن هي أحسن الحسنات كما مر.

٢٠- وهي أفضل ما ذُكر الله عز وجل به كما قال النبي الكريم محمد ﷺ: **«أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له»**(١).

٢١- وهي أثقل شيء في الميزان كما في المسند، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: **«أن نوحًا عليه السلام قال لابنه عند موته: آمرك بلا إله إلا الله فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وُضعت في كَفَّة ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة قصمتهن لا إله إلا الله»**(٢).

٢٢- وهي تطيش بسجلات الذنوب، وترجح بصحائفها وتثقل الميزان، كما في الحديث الصحيح.

٢٣- وهي أعلى شعب الإيمان وذلك لما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الإيمان بضع وسبعون شعبة،**

---

(١) رواه مالك في الموطأ (١/٤٤٢)، وقد وصله ابن عدي والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة مرفوعًا. انظر: الصحيحة (١٥٠٣).

(٢) رواه أحمد (٢/١٧) وسنده صحيح، الصحيحة برقم (١٣٤).

أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق»[١].

٢٤- وهي أفضل الأعمال والأذكار، وأكثرها تضعيفًا، وتعدل عتق الرقاب، وتكون حرزًا من الشيطان كما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد أفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه»**[٢].

وفي الصحيحين أيضًا عن أبي أيوب الأنصاري عن النبي ﷺ: **«من قالها عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل»**[٣].

٢٥- من فضائلها أنها تفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية، كما جاء في صحيح الإمام مسلم: **«ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبد الله ورسوله إلا فُتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»**[٤].

---

(١) البخاري (٧١٦٧)، ومسلم (٢٦٩١).
(٢) البخاري (٨/١)، ومسلم (٦٣/١) رقم (٣٥).
(٣) البخاري (١٦٧/٧)، ومسلم (٢٦٩٣).
(٤) مسلم (٢٣٤).

٢٦- وهي التي يكون السؤال عنها يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].

وقال تعالى: ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٦].

٢٧- وهي المثل الأعلى الذي ذكره الله عز وجل إذ يقول: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الروم: ٢٧].

فالمثل الأعلى هو الوصف الكامل، وأعظم وصف لله هو أنه لا إله إلا هو؛ كما جاء ذلك في آية الكرسي: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٢٨- وفي شأنها تكون السعادة والشقاوة.

٢٩- وبها تؤخذ الكتب باليمين أو الشمال.

٣٠- ولأجلها يُفرق بين القريب والقريب: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

٣١- ولأجلها خُلقت الدنيا والآخرة، والجنة والنار.

٣٢- وهي أصل الدين، وأساسه، ورأس أمره، وساق شجرته، وعمود فسطاطه، وبقية الأركان والفرائض متفرعة عنها متشعبة منها،

مكملات لها، مقيدة بالتزام معناها، والعمل بمقتضاها.

٣٣- وهي الأمان من وحشة القبور، وأهوال المحشر.

٣٤- ومن فضائلها أن قبول الأعمال متوقف عليها وعلى تحقيقها.

٣٥- وهي أعظم سبب للتحرر من رق المخلوقين.

٣٦- وهي أصل كل خير ديني أو دنيوي ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ٦٤].

٤٠- وهي سبب للشجاعة والإقدام فكلما ازداد الإنسان علمًا بها وعملاً بمقتضاها، ازداد بذلك شجاعة وإقدامًا وجرأة في الحق، ولا أدل على ذلك من حال الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وكذلك حال أتباعهم من الصديقين والشهداء والصالحين والمجاهدين في كل زمان ومكان.

٤١- أنها أعظم سبب لعلو الهمة، فأعلى الهمم: الوصول إلى رضا الله ودخول الجنة وصاحبها أعظم همه هو ذلك الأمر.

٤٢- وهي أعظم مصدر للعزة والكرامة: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

٤٣- وهي الصدق في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣].

٤٤- وهي التي لأجلها جُردت سيوف الجهاد، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٣٩].

٤٥- وهي مشتملة على نوعي الدعاء: دعاء العبادة، ودعاء المسألة.

٤٦- ومن فضائلها أنها السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة، ودفع عقوبتهما، ولذا لما كان يونس عليه السلام في بطن الحوت: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، استجاب الله له وفرج كربه.

٤٧- ومن فضائلها أنها أعظم سبب لحسن الخُلق ولين الجانب وكرم النفس والارتفاع عن الدنايا، ومحقرات الأمور.

٤٨- أنها هي كلمة التوحيد، والتوحيد هو السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه، قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

٤٩- أن أسعد الناس بشفاعة رسول الله محمد ﷺ من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه.

٥٠- أن من كمل التوحيد في قلبه وعرف معنى الشهادة وعمل بمقتضاها سهل عليه فعل الخيرات، وترك المنكرات، وهانت عليه المصيبات، فالمخلص لله تخف عليه الطاعات لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه، ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي لما يخشى من سخطه وعقابه، ويتسلى عند المصائب لعلمه أنها من عند الله عز وجل، وكل ما يصيبه من الله فهو خير له في دينه ودنياه، علم حكمة ذلك أم لم يعلم.

٥١- أنها إذا اكتملت المعرفة بها والعمل بمقتضاها حبب الله تعالى لصاحبها الإيمان، وزينه في قلبه وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان وجعله من الراشدين.

٥٢- ومن فضائلها: أن التوحيد إذا كمل وتم في القلب وتحقق تحققًا كاملاً بالإخلاص التام؛ صار القليل من عمله كثيرًا وتضاعفت أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب.

٥٣- ومن فضائلها: أن الله تكفل لأهلها بالفتح والنصر في الدنيا والعز والشرف وحصول الهداية والتيسير لليسرى، وإصلاح الأحوال والتسديد في الأقوال والأفعال.

٥٤- ومن فضائلها: أن الله يدفع عن أهلها شرور الدنيا والآخرة ويمن عليهم بالحياة الطيبة.

٥٥- وهي حبل الله المتين قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٥٦- ومن فضائلها: أن من استقام عليها تحصل له البشرى عند الممات.

٥٧- وهي شعار المؤمنين الموحدين، فهم أهل لا إله إلا الله.

٥٨- وهي الرابطة بينهم، فبمجرد الإيمان بها ينتسب الإنسان إلى أشرف نسب، فيصبح إبراهيم عليه السلام أباه، وأزواج النبي أمهاته، وباقي المؤمنين إخوة له، قال تعالى: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ﴾ [الأحزاب: ٦]، وقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

٥٩- وهي سبب استغفار الملائكة، فالملائكة تستغفر: -لأهل لا إله إلا الله- قال تعالى: ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [غافر: ٧].

٦٠- وهي سبب استغفار الرسول محمد ﷺ للمؤمنين والمؤمنات قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ ﴾ [محمد: ١٩].

٦١- وهي كلمة الإخلاص لأن الأصل فيها عمل القلب.

٦٢- وهي كلمة الإحسان قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠].

٦٣- وهي دعوة الحق قال تعالى: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾ [الرعد: ١٤]، قال ابن عباس: (هي لا إله إلا الله) وتقديم الخبر يفيد الحصر أي لا يقال: لا إله إلا الله إلا في حقه تعالى.

٦٤- وهي كلمة العدل التي قال تعالى فيها: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ [النحل: ٩٠]، قال ابن عباس: العدل شهادة أن لا إله إلا الله، والإحسان هو الإخلاص فيها، ومن خلالها العدل في كل شيء إذ لا يعدل إلا من عرف لكلمة الإخلاص قدرها.

٦٥- وهي الطيب من القول قال تعالى: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [الحج: ٢٤] أي هدوا إلى كل طيب، فلا أطيب ولا أطهر من هذه الكلمة.

٦٦- وهي الكلمة الباقية، فالتوحيد لا يزول بكل معصية، ولكن كل معصية تزول بسبب التوحيد وتفنى، قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧]، فذكرها بعد ذكر معنى الشهادة فقوله: ﴿ بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ أي: إنني بريء مما تعبدون سوى لا إله إلا الله، ﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ بمعنى إلا الله.

٦٧- وهي كلمة الله العليا قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ﴾ [التوبة: ٤٠]،

وكلمة الله عليا على الدوام، ولهذا لم يعطفها على ما قبلها.

٦٨- وهي النجاة كما في قول مؤمن آل فرعون: ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ [غافر: ٤١]، والنجاة هي لا إله إلا الله ولا تكون النجاة إلا بها.

٦٩- وهي كلمة الاستقامة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ ﴾ [فصلت: ٣٠].

٧٠- وهي سبب الاجتماع والألفة: فكلمة التوحيد هي أساس توحيد الكلمة بين المسلمين ولا يكون الاجتماع إلا عليها، فلقد امتن الله على المؤمنين بها، فجمع بها شملهم بعد الشتات، ولم شعثهم بعد التفرق، قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٧١- وهي القول السديد كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠].

فسديد القول فعيل بمعنى فاعل أي قولوا قولاً يسد على صاحبه أبواب جهنم، أو بمعنى مفعول: أي قولوا قولاً يسد صاحبه أن يضيره شيء من الذنوب.

٧٢- وهي أيضًا البر قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ

ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [البقرة: ١٧٧]، إشارة إلى التوحيد المفهوم من لا إله إلا الله.

٧٣- وهي الدين كما قال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٣]، فحصر الخضوع لله وحده لا شريك له ودل على أنه لا إله سواه، ولا معبود إلا إياه.

٧٤- وهي الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦]، وقال: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢].

٧٥- وهي سبب النصر على الأعداء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥]، ولا إله إلا الله هي أعظم أنواع الذكر.

٧٦- وهي سبب التمكين في الأرض قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور: ٥٥].

٧٧- وهي سبب للرفعة والعلو، فلقد عزَّ بها بلال الحبشي وسلمان الفارسي رضي الله عنهما، وذل بسبب تركها أشراف قريش، لقد رفع الإسلام سلمان فارس كما وضع الكفر الشريف أبا لهب.

٧٨- وهي سبب لعصمة الدماء والأموال قال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام**»[1].

٧٩- وهي كلمة الشهادة قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨].

٨٠- وهي المعروف الأكبر قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

٨١- وهي أول شيء يُدعى إليه كما في حديث معاذ عندما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن فقال: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**»[2].

٨٢- وهي ملة أبينا إبراهيم عليه السلام قال تعالى: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الحج: ٧٨].

٨٣- وهي الزكاة، قال تعالى: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [فصلت: ٦-٧]، قال ابن القيم رحمه الله في إغاثة اللهفان: (قال

(١) البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٠).

(٢) البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩).

أكثر المفسرين من السلف ومن بعدهم: هي التوحيد، شهادة أن لا إله إلا الله والإيمان الذي به يزكو القلب فإنه يتضمن نفي ألهية من سوى الحق من القلب وذلك طهارته وإثبات ألوهيته سبحانه وهو أصل كل زكاة ونماء)(١).

٨٤- وبسببها تبيض وجوه وتسود وجوه فتبيض وجوه أهلها أهل الطاعة والإيمان، وتسود وجوه أعدائها من أهل الكفر والعصيان، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

ومن ثمرات الذكر أنه:

٨٥- يزيل الهم والغم ويُذهب الحزن وبه تطمئن القلوب: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

٨٦- يُرضي الرحمن جل جلاله: ويشفع أهله يوم الفزع الأكبر: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ [طه: ١٠٩].

والقول الذي يُرضي الرب سبحانه عن العبد هو «لا إله إلا الله».

٨٧- يطرد الشيطان ويقصمه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

---

(١) إغاثة اللهفان (ص٥٦).

٨٨- نور في الوجه وفي القلب وفي القبر وعلى الصراط ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الحديد: ١٢].

٨٩- الذكر يفتح أبواب الرزق ويجلبه للذاكرين: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ ﴾ [غافر: ١٣].

٩٠- الذكر يقوي القلب والبدن: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ ﴾ [النساء: ١٠٣].

فالذكر يُسبب الاطمئنان للقلب ويقوي البدن والذي قال الحق جل وعلا: ﴿ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ ﴾ فالصلاة لا تقام إلا بقوة البدن والبدن لا يقوى إلا بقوة القلب والقلب لا يقوى إلا بالاطمئنان الذي معينه الذكر: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

٩١- الذكر يكسو الذاكرين الهيبة والإجلال والنضارة والجمال: وإذا بلغ الذاكرون مرتبة النضارة والإجلال والجمال في الدنيا: نالوا مرتبة: ﴿ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [المطففين: ٢٤] في الآخرة.

٩٢- الذكر يجلب لأهله انشراح الصدر والفرح والسرور والنور دل على ذلك قول الحق جل وعلا: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزمر: ٢٢].

٩٣- الذكر يُورِّث أهله المحبة التي هي روح الإسلام وثمرة الإيمان: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٦٥].

فمن عظيم فضل الله سبحانه: أن جعل دوام الذكر سببًا لمحبته: فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل: فعليه بالذكر، فإنه باب المحبة وشراعها الأعظم، وصراطها الأقوم: فأجمل في الذكر وأمعن الفكر: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩١].

٩٤- الذكر يُورِّث أهله مراقبة الله عز وجل في السر والعلن: حتى يدخلهم باب الإحسان ومن دخل باب الإحسان: عبد الله جل جلاله كأنه يراه، وهي مرتبة الكشف الحجابي لا الكشف الترابي، نور بصائر القلوب لا العيون، ومنه يقظة الضمير الأخلاقي فيما بين العبد وربه سبحانه، فيتيقن دائمًا أنه إذا نامت كل العيون فالحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، وجاء في جواب الرسول الأكرم محمد ﷺ حينما سُئل عن الإحسان، قال ﷺ: **«أن تعبد الله عز وجل كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**

و﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾[الرحمن: ٦٠].

٩٥- الذكر يُورِّث أهله الإنابة: وهي كثرة الرجوع إلى الله جل جلاله: ومن لزم الإنابة نال مرتبة الوقوف ببابه، ومن وقف بالباب فإنها مرتبة الأحباب وبها الخروج من فتن الدنيا، والنجاة من العذاب: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩﴾ [ص: ٢٤].

والإنابة هي التبصرة عند الإظلام: وهي الذكرى عند النسيان: ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾[ق: ٨].

٩٦- الذكر سبب قرب العبد من الرب جل وعلا فبحسب درجة الذكر تكون درجة القرب، وبحسب درجة الغفلة تكون درجة البعد، لما جاء في الحديث القدسي قول الحق جل وعلا: **«أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه ما ذكرني وتحركت بي شفتاه، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إليَّ ذراعًا، تقربت إليه باعًا، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة»**(١).

وأكبر دليل على أن الذكر هو سبيل القرب من المليك جل وعلا: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري.

٩٧- يفتح لأصحابه أبواب المعرفة، فمن لزم الذكر أمعن الفكر أي أعمل العقل في التفكر في الملك والملكوت فيستشعر عظمة الحي الذي لا يموت، فتتكشف له الأستار، فيرى من النور أنوارًا، فيبصر بعين البصيرة، كنوز المعرفة ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

ومن عرف لله جل جلاله قدره وعظمته، أكسبه المعارف وأولها طريق جنته: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٦].

٩٨- الذكر يُورِّث أحبابه الثبات في الحياة وبعد الممات، وعند سؤال منكر ونكير في القبر، وعلى الصراط يوم الحشر: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] والقول الثابت هو (لا إله إلا الله)

٩٩- يورِّث أهله حياة القلوب، فمن ذكر الله عز وجل ذكرًا كثيرًا مخلصًا به قلب الذاكر، لم يمت قلبه حين تموت القلوب وهو ذكر النبوة الخالص في قوله ﷺ: «**تنام عيناي، ولكن قلبي لا ينام**».

ومنه قوله ﷺ: «**ذاكر الله في الغافلين، كالشجرة الخضراء في الهشيم**» أي كالشجرة الخضراء في الصحراء التي لا زرع فيها ولا ماء.

١٠٠- ومن ثمرات الذكر أنه يذهب الخطايا ويمحو الذنوب، دل على ذلك قول الحق عز ثناؤه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

١٠١- ذكر الله جل جلاله قوت القلب وزاد الرُّوح[١]، فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوّته، وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حضرتُ شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى صلاة الفجر، ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليَّ وقال:

- هذه غدوتي، ولو لم أتغذّ هذا الغذاء سقطت قوتي.

وقال أيضًا: لا أترك الذِّكر إلا بنيّة إجمام نفسي وإراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر.

١٠٢-[٢] ذكر الله جل وعلا يورث الذاكر جلاء القلب من صدأه، وكل شيء له صدأ، وصدأ القلب الغفلة والهوى، وجلاؤه الذِّكر والتوبة والاستغفار.

---

(١) القوت: هو ما يقوم به البدن من الطعام، الجمع: أقوات،الروح: النفس، وعند الفقهاء هي جسم نوراني لطيف ينفذ إلى الأجساد الصالحة فتظهر آثاره فيها أي: تظهر فيها الحياة، حيل: من حال، أي حجز بينهما فهو حائل، غدوتي أي: طعام الغداء، قال الله تعالى في سورة الكهف الآية ٦٢: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ أتغذ من غذو: والغِذاء، ما ينمو به الجسم، ويصلح من طعام وشراب، إجمام: استراح فذهب عياؤه.

(٢) الجلاء الظهور والوضوح، الصدأ مادة حبيبية هشة لونها يأخذ من الحمرة والشقرة، تعلو الحديد المعرض للهواء والندى، ويُسمى كميائيًا الأكسد، وصدأ القلب، غطت عليه الذنوب، «الغفلة» هي غيبة الشيء عن بال الإنسان وعدم تذكره له، الجمع: غفلات. «الهوى» أي الميل والعشق ويكون في الخير والشر، «التوبة» هي الاعتراف بالذنب والندم على ما مضى من المعاصي والإقلاع عنها.

١٠٣ -[(١)] ذكر الله جل وجلاله: يحط الخطايا ويذهبها، فإنه من أعظم الحسنات، والحسنات يُذهبن السيئات: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

١٠٤ -[(٢)] ذكر الله عز ثناؤه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى، فإن الغافل بينه وبين الله عز وجل وحشة لا تزول إلا بالذكر.

١٠٥ -[(٣)] ومن ثمرات الذكر أنَّ ما يذكر به العبد ربه عز وجل من

---

(١) والعزم على ألا يعاود الإنسان ما اقترفه من ذنب، والتوبة النصوح هي التوبة الصحيحة، ويضاف إلى ذلك في التوبة من حقوق الآدميين ما في الذمة من حقوقهم، والاستغفار هو طلب المغفرة، وعند الفقهاء: الدعاء بطلب العفو من الله تعالى عما اقترف من الذنب، ذكر البيهقي مرفوعًا من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه كان يقول: **لكل شيء صقالة، وإن صقالة القلوب ذكر الله عز وجل، وما من شيء أنجى من عذاب الله عز وجل من ذكر الله عز وجل**، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢/٣٩٥، ٣٩٦)، وزاد نسبته لابن أبي الدنيا، وإسناده ضعيف. انظر: الوابل الصيب والكلم الطيب لابن قيم الجوزية.

(٢) «يحط الخطايا» أي يغفرها، الحسنات مفردها الحسنة وهي التصرف المستحق ثواب الله تعالى في الآخرة، ويقابلها السيئة، قال الله تعالى في سورة هود الآية ١١٤: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾.

(٣) الوحشة هي الخوف من الخلوة، يقال: أخذته وحشة، وأرض وحشة: قفر. أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/٢٦٨، ٢٧١)، وابن ماجة في الحديث رقم (٣٨٠٩) في الأدب، باب فضل التسبيح، من حديث عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبيه أو أخيه، هكذا رواه بالشك، ورواته ثقات، إلا أن رواية عون بن عبد الله عن أبيه مرسلة.

إجلاله وتسبيحه وتحميده.

يكون ذخرًا لصاحبه عند الشِّدَّة، فقد روى الإمام أحمد في المسند عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ مما تَذكرون من جلال الله عز وجل من التهليل والتكبير والتحميد يتعاطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل يذكرون بصاحبهن، أفلا يحب أحدكم أن يكون له ما يذكر به**».

١٠٦ –[1] ومن ثمرات ذكر الله عز وجل أن العبد إذا تعرف إلى الله تعالى بذكره في الرَّخاء، عرفه في الشِّدَّة، وقد جاء أثر معناه: أن العبد المطيع الذاكر لله تعالى، إذا أصابته شدة أو سأل الله تعالى حاجة قالت الملائكة: يا رب صوتٌ معروفٌ، من عبدٍ معروفٍ، والغافل المعرض عن الله عز وجل إذا دعاه وسأله، قالت الملائكة: يا رب، صوتٌ منكرٌ، من عبدٍ منكرٍ.

١٠٧ –[2] ذكر الله جل وعلا بإخلاص يكون منجاة لصاحبه من

---

(١) الرخاء هو سعة العيش وحسن الحال، الشِّدَّة هي الضيق والمكابدة، والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣٠٧/١)، وأخرجه أبو القاسم بن بشران في أماليه عن أبي هريرة وحسنه السيوطي في جامعه تحت رقم (٣٣١٧) بهذا النص: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة. وهو حديث صحيح.

(٢) المنجاة: أي النجاة، يقال: هو بمنجاة من كذا أي: بموضع نجاة، ويقال: الصدق منجاة، أي: باعث على النجاة، الجمع: مناجٍ. أخرج الإمام أحمد في المسند (٢٣٩/٥)، عن زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عباس مرفوعًا، وأخرج البيهقي وابن عبد البر عن معاذ مرفوعًا، وأخرج الإمام مالك في الموطأ (٢١١/١) موقوفًا على معاذ، وقال المناوي في فيض القدير (٤٥٧/٥): وقد رواه الطبراني عن جابر يرفعه بسند رجاله، =

عذاب الله تعالى، كما قال معاذ بن جبل ، ويروى مرفوعًا: (مَا عَمِلَ آدَمِي عَمَلاً أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى).

١٠٨ –[1] أنه سبب نزول السكينة، وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة بالذاكر كما أخبر به النبي الكريم محمد ﷺ.

= رجال الصحيح، وأخرج الإمام مالك في الموطأ (١/ ٢١١) موقوفًا على أبي الدرداء، وإسناده منقطع، وقد وصله أحمد في المسند (٥/ ١٩٥)، والترمذي في الحديث رقم (٣٣٧٤) في الدعوات، وابن ماجة في الحديث رقم (٣٧٩٠) في الأدب، باب: فضل الذكر، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٦) كلهم من حديث أبي الدرداء، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وه كما قالا، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٥٢٠) بهذا النص:

قال رسول الله ﷺ: **«ما عمل آدمي عملاً قط أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل»**، وقال معاذ: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقكم، ويضربوا أعناقكم»**، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **«ذكر الله عز وجل»**.

(١) السكينة: هي الهدوء وطمأنينة القلب وخشوعه، الغشيان هو الإتيان، الحفوف من حفف: أحدق به واستدار عليه، فهو حافون، يقال: حفوا حوله أي أطافوا به واستداروا، وأخرج مسلم في الحديث رقم (٢٧٠٠) في الذكر والدعاء، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر وأخرجه الترمذي في الحديث رقم (٣٣٧٥) في الدعوات، باب القوم يجلسون فيذكرون الله ما لهم من الفضل، وأخرج أحمد في المسند (٢/ ٤٤٧)، (٣/ ٣٣، ٩٤) عن الأعز أبي مسلم قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد، أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: **«لا يقعد قوم في مجلس يذكرون الله فيه إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده»**.

١٠٩ -[١] من فوائد الذكر الجليلة أنه يكون سبب اشتغال اللسان عن الغيبة، والنميمة، والكذب، والفحش والباطل، فإن العبد لا بد له من أن يتكلم، فإن لم يتكلم يذكر الله تعالى وذكر أوامره، تكلم بهذه المحرمات أو بعضها، ولا سبيل إلى السلامة منها ألبتة إلا بذكر الله تعالى.

والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك، فمن عوَّد لسانه ذكر الله صان لسانه عن الباطل واللغو، ومن يبس لسانه عن ذكر الله تعالى، ترطب بكل باطل ولغو وفحش، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) الغيبة هي: أن تذكر أخاك في غيبته بما يكره ويسوؤه ذكره، النميمة هي نمى: ونمى الحديث إليه، رفعه إليه وعزاه، يقال: فلان يُنمي أحاديث الناس أي: يبلغها على وجه النميمة والفساد، الكذب: نقيض الصدق، وهو الإخبار عن أمر بخلاف ما هو عليه، قال تعالى في سورة يوسف: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ ﴾، الفحش: القبيح الشنيع من قول وفعل، الباطل: نقيض الحق وما فسد آوو سقط حكمه، الجمع: بواطل، وأباطيل،المحرمات: ما يحرم انتهاكه من عهد أو ميثاق أو نحوهما، ألبتة: يقال: لا أفعله ألبتة أي لا أفعله أبدًا، وألبتة: مصدر منصوب بفعل محذوف والتاء للمبالغة. تاج العروس ولسان العرب والصحاح. عود أي جعل يعتاد حتى يصير عادة له، صان: حفظ، اللغو ما لا يُعتدُّ عليه القلب، ويأتي عليه غير قصد، قال الله تعالى في سورة البقرة الآية ٢٢٥: ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ ﴾، «يبس أي جف بعد رطوبة، واليبوسة: ضد الرطوبة، الرطوبة من رطب أي ندى صار رخصًا ناعمًا، فهو رطب وهي رطبة، يقال: رطب لسانه بذكر الله.

١١٠-[1] أن مجالس الذِّكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين، فليتخير العبد أعجبهما إليه، وأولاهما به، فهو مع أهله في الدنيا والآخرة.

١١١-[2] ومن الفيوضات الربانية والمنح السنية للذاكرين الله عز ثناؤه أنه يُسعد الذَّاكر بذكره، ويُسعد به أيضًا جليسه، وهذا هو المبارك أين ما كان، والغافل هو اللاغي يشقى بلغوه وغفلته، ويشقى به أيضًا جليسه.

١١٢-[3] ومن جلال ذكر الله سبحانه أنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة، فإن كان في مجلس لا يذكر العبد فيه ربه تعالى كان عليه حسرة وتِرة يوم القيامة.

١١٣-[4] ومن المنح الربانية لأهل الذكر أن الاشتغال به سبب لعطاء

---

(١) أعجبهما إليه: ما حمله على العجب منه،أولاهما به أحقهما والأجدر به، يقال: هو أولى بكذا أي: أحق به وأجدر.

(٢) المبارك هو ما جعل الله جل جلاله فيه البركة، والبركة هي النماء والزيادة والخير.

(٣) الحسرة هي شدة التلهف والحزن وهي أشد من الندم، ومنها: واحسرتاه ويا حسرتاه قال تعالى في سورة الزمر الآية ٥٦: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾.

(٤) الترة البتر والانقطاع، الحديث أخرجه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد (ص٢٠٥) من حديث عمر بن الخطاب ، أخرجه الدارمي في الحديث رقم (٣٣٥٩) في فضائل القرآن، باب: فضل كلام الله على سائر الكلام، وأخرجه الترمذي في الحديث رقم (٢٩٢٧) في ثواب القرآن، باب رقم (٢٥) من حديث أبي سعيد الخدري ، وعثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية (ص٣٢٦)، وذكره السيوطي في الجامع الكبير =

الله للذَّاكر أفضل ما يعطي السائلين، ففي الحديث عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال سبحانه وتعالى: من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين**» وفي رواية: «**من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل مما أعطي السائلين**».

١١٤ -[١] أن ذكر الله عز وجل يزيل الغلظة والقسوة من القلب وأنه مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله تعالى العبد يوم الحر الأكبر في ظل عرشه، والناس في حر الشمس قد صهرتهم في الموقف، وهذا الذاكر مستظل بظل عرش الرحمن عز وجل.

= ونسبه للبيهقي من حديث عمر وجابر رضي الله عنهما، ولابن أبي شيبة من حديث عمرو بن مرة مرسلاً، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لكنه ضعيف كما في الألباني في ضعيف الجامع رقم (٦٤٥٢).

(١) الخلوة: الانفراد، الإظلال: من الظّلة أي: المظلة وما أظللت من شجر ونحوه، «يوم الحرِّ الأكبر: يوم القيامة، العرش: المُلك، صهرتهم: أذابتهم، والمعنى هنا إشارة إلى الحديث النبوي الشريف: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**». أخرجه البخاري في الجماعة والإمامة، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد في الحديث رقم (٦٢٩) عن أبي هريرة وفي الأرقام (١٣٥٧، ٦١١٤، ٦٤٢١)، وأخرجه مسلم في الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، رقم الحديث (١٠٣١)، وأخرجه البيهقي في الأسماء، وحسنه السيوطي في جامعه في الحديث رقم (٤٦٤٧).

١١٥-(١) أنه أيسر العبادات، وهو من أجلّها وأفضلها، فإن حركة اللسان أخف حركات الجوارح وأيسرها، ولو تحرك عضو من الإنسان في اليوم والليلة بقدر حركة لسانه لشق عليه غاية المشقة، بل لا يمكنه ذلك.

١١٦-(٢) ومن ثمرة فضل الله عز ثناؤه في الذكر أنه غراس الجنة، فقد روى الترمذي في جامعه من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«لقيت ليلة أسرى بي إبراهيم الخليل عليه السلام فقال: يا محمد اقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»**.

وفي الترمذي من حديث أبي الزبير عن جابر عن النبي الكريم محمد ﷺ قال: **«مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ»**.

---

(١) الجوارح: مفردها الجارحة، أي: العضو العامل من أعضاء الجسد، شق عليه الأمر: صعب وثقل، المشقة: العناء والجهد، الجمع: مشاق.

(٢) غراس: ما يُغرس من الشجر، الحديث الأول: أخرجه الترمذي في الحديث رقم (٣٤٥٨) في الدعوات، باب رقم (٦٠)، وفي سنده عبد الرحمن بن إسحاق بن الحارث الواسطي وهو ضعيف. وهو حديث حسن بشواهده، انظر الأحاديث الصحيحة رقم (١٠٦).

الحديث الثاني: أخرجه الترمذي سننه في الحديث (٣٤٦٠، ٣٤٦١) في الدعوات، باب رقم (٦٠)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه في الحديث رقم (٢٣٣٥)، وفي الأذكار باب فضل التسبيح والتهليل والتحميد، وهو حديث صحيح، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٢٢)، وقاله البزار بسند جيد. انظر: الأحاديث الصحيحة رقم (٦٤).

١١٧ -[(١)] أن العطاء والفضل الذي رُتِّبَ عليه لم يُرتَّب على غيره من

---

(١) العطاء: ما يُعطى، وهما: عطاءان وعطاوان، الجمع أعطية، وجمع الجمع: أعطيات، الفضل: الزيادة، وضده النقص، والإحسان ابتداء بلا مقابل.

الحديث الأول: أخرجه البخاري في كتاب: بدء الخلق، باب (١١) رقم الحديث (٣١١٩) وفي كتاب الدعوات، باب فضل التهليل رقم الحديث (٦٠٤٠، ٦٠٤١)، وأخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء رقم الحديث (٢٦٩١، ٢٦٩٣)، أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٠٩) في القرآن، باب: ذكر الله تبارك وتعالى، وأخرجه الترمذي رقم (٣٤٦٤) في الدعوات، باب رقم (٦١)، وأخرجه أحمد في المسند (٢/ ٢-٣، ٣٧٥)، «عدل»: مثل «رقاب»: جمع رقبة، أي إنسان مملوك عبد أو أمة، والمراد ثواب عتقهم، «الزبد»: ما يعلو الماء وغيره من الرغوة، وهو أيضًا ما يخرج من فم الغاضب، وما لا خير فيه، وزبد المعادن: خبثها ووضرها ونفايتها.

الحديث الثاني: أخرجه مسلم في الحديث رقم (٢٦٩٥) في الذكر باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، وأخرجه الترمذي في الحديث رقم (٣٥٩١) في الدعوات، باب رقم (١٣١).

الحديث الثالث: أخرجه الترمذي في الحديث رقم (٣٤٩٥) في الدعوات، باب رقم (٨١) بلفظ: «من قال حين يصبح: اللهم أصبحنا نشهدك ونشهد حملة عشرك، وملائكتك، وجميع خلقك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمدًا عبدك ورسولك إلا غفر الله ما أصاب يومه ذلك، وإن قالها حين يمسي غفر الله له ما أصاب في تلك الليلة من ذنب». أخرجه أبو داود في الحديث رقم (٥٠٦٩) في الأدب، باب: ما يقول إذا أصبح، وهو حديث حسن بشواهده. وانظر: شرح الأذكار (٣/ ١٠٥، ١٠٦).

الحديث الرابع: أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٣٣٧)، وأخرجه الترمذي في الحديث رقم (٣٣٨٦) في الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى وهو حديث حسن، وحسنه الحافظ في تخريج الأذكار، وقال الألباني في ضعيف الجامع رقم (٥٧٣٧): ضعيف.

الأعمال ففي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِي، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ، وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدَ الْبَحْرِ».

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ، ولا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ».

وفي الترمذي من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ أَوْ يُمْسِي: اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ، وَمَلائِكَتَكَ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، أَعْتَقَ اللهُ رُبُعَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَعْتَقَ اللهُ نِصْفَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَهَا ثَلاثًا أَعْتَقَ اللهُ ثَلاثَةَ أَرْبَاعِهِ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَهَا أَرْبَعًا، أَعْتَقَهُ اللهُ تَعَالَى مِنَ النَّارِ».

الحديث الخامس: أخرجه الترمذي في سننه في الحديث رقم (٣٤٢٤) في الدعوات، باب: ما يقول إذا دخل السوق، وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/٥٣٨، ٥٣٩)، وأخرجه ابن السني في الحديث رقم (١٢٨) وهو حديث حسن بطرقه. انظر كتابنا ٢٤ ساعة مع الحبيب المصطفى ﷺ.

وفيه عن ثوبان، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي وَإِذَا أَصْبَحَ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولاً، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُرْضِيَهُ».

وفي الترمذي: «مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ، كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفَ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفَ دَرَجَةٍ».

١١٨ -[١] أن دوام ذكر الرَّبِّ تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده، فإن نسيان الرب سبحانه وتعالى يوجب نسيان نفسه ومصالحها، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾[الحشر: ١٩].

وإذا نسي العبد نفسه، أعرض عن مصالحها ونسيها، واشتغل عنها، فهلكت وفسدت، ولا بد لمن له زرع أو بستان أو ماشية أو غير ذلك مما صلاحه وفلاحه بتعاهده والقيام عليه، فأهمله ونسيه، واشتغل عنه بغيره،

---

(١)الأمان هو الطمأنينة والعهد والحماية والذِّمة، الجمع: أمانات، والأمن: ضد الخوف، والأمن: اطمأن وسكن قلبه ولم يخف قال الشاعر:

آمِنت لَمَّا أَقَمتَ العَدْلِ بَيْنَهُمُ ** فَنِمْتَ فِيهم قَرِيرَ العَيْنَينِ هَانِيها

المعاش هو ما تكون له الحياة من المأكل والمشرب والدخل، المعاد: المرجع والمصير، والحياة الآخرة ويوم القيامة، الآية سورة الحشر الآية ١٩.

وضيع مصالحه، فإنه يفسد ولا بد.

١١٩ -[١] أن الذكر يسير العبد وهو قاعد على فراشه وفي سوقه، وفي حال صحته وسقمه، وفي حال نعيمه ولذته، ومعاشه وقيامه وقعوده واضطجاعه، وسفره وإقامته، فليس في الأعمال شيء يعم الأوقات والأحوال مثله، حتى إنه يسير العبد وهو نائم على فراشه، فيسبق القائم مع الغفلة، فيصبح هذا النائم قد قطع الركب وهو مستلق على فراشه، ويصبح ذلك القائم الغافل في ساقة الركب، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

١٢٠ -[٢] أن الذكر نور للذاكر في الدُّنيا، ونورٌ له في قبره، ونور له في معاده، يسعى بين يديه على الصِّراط، فما استنارت القلوب والقبور بمثل ذكر الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

---

(١) سقمة مرضه، والسقيم: المريض، وسقم: مرض في بدنه أو طال مرضه، وسقيم الصدر على أخيه: حاقد عليه.

(٢) القِّراط هو الطريق، وهو أيضًا جسر ممدود على جهنم يجوزه أهل الجنة بأعمالهم الآية: سورة الأنعام الآية ١٢٢، الحديث قطعة من حديث أخرجه مسلم في صحيحه في الحديث رقم (٧٦٣) في كتاب: المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٢٨٤، ٣٤٣، ٣٥٢، ٣٧٣)، وأخرجه النسائي في الافتتاح، باب الدعاء في السجود. من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

فالأول هو المؤمن الذي استنار بالإيمان بالله ومحبته ومعرفته وذكره، والآخر هو الغافل عن الله تعالى، المُعرض عن ذكره ومحبته، والشأن كل الشأن، والفلاح كل الفلاح في النور، والشقاء كل الشقاء في فواته.

ولهذا كان النبي ﷺ يبالغ في سؤال ربه تبارك وتعالى حين يسأله أن يجعله في لحمه، وعظمه، وعصبه، وشعره، وعن يمينه، وعن شماله، وخلفه، وأمامه، حتى يقول: (واجعلني نورًا) فسأل ربه تبارك وتعالى أن يجعل النور في ذاته الظاهرة والباطنة، وأن يجعله محيطًا به من جميع جهاته، وأن يجعل ذاته وجملته نورًا.

فدين الله عز وجل نور، وكتابه نور، ورسوله نور، وداره التي أعدها لأوليائه نور يتلألأ، وهو تبارك وتعالى نور السموات والأرض، ومن أسمائه النور، وأشرقت الظلمات لنور وجهه الكريم جل جلاله .

١٢١-[١] أن الذكر رأس الأمور، وطريق عامة الطائفة، ومنشور الولاية، فمن فتح له فيه فقد فتح له باب الدخول على الله عز وجل، فليتطهر وليدخل على ربه عز وجل يجد عنده كل ما يريد، فإن وجد ربه عز وجل وجد كل شيء، وإن فاته ربه عز وجل فاته كل شيء.

---

(١)الطائفة هي الجماعة والفرقة، قال الله تعالى في سورة الحجرات الآية (٩): ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾، منشور: بيان، الولاية: النصرة، قال الله تعالى في سورة الكهف الآية ٤٤: ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾.

١٢٢-(١) أن في القلب خَلَّة وفاقة لا يسدُّها شيء ألبتة إلا بذكر الله عز وجل، فإذا صار الذِّكر شعار القلب، بحيث يكون هو الذَّاكر بطريق الأصالة، واللسان تبعًا له، فهذا هو الذِّكر الذي يسد الخلَّة، ويغني الفاقة، فيكون صاحبه غنيًا بلا مال، عزيزًا بلا عشيرة، مهيبًا بلا سلطان، فإذا كان غافلاً عن ذكر الله عز وجل، فهو بضد ذلك، فقير مع كثير جِدته، ذليل مع سلطانه، حقير مع كثرة عشيرته.

١٢٣-(٢) أن الذكر يجمع المتفرِّق، ويفرِّق المجتمع، ويقرِّب البعيد،

---

(١) الخُلَّة: الخصلة، يقال: فيه خُلَّة حسنة، وخلَّة سيئة، خِلال، الخَلَّة: الفقر والحاجة، يقال: فلان ذو خَلَّة أي: محتاج، الفاقة: الفقر والحاجة، ألبتة: أي أبدًا وقطعًا، لأصالة : من أصل، كان له أصل، والأصالة في الرأي: جودته، وفي الأسلوب: ابتكاره، وفي النَّسب: عراقته، تبع: التابع، قال الله تعالى في سورة إبراهيم الآية ٢١: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾، العشيرة: عشيرة الرجل: بنو أبيه الأقربون وقبيلته، الجمع: عشائر. مهيبًا: من هيب، وهابه ومهابة: خافه، وحذره فهو هائب وهيوب، والمهابة والهيبة: المخافة والإجلال. سلطان: الحجة والبرهان، والحجة البينة، والتسلط، والوالي أو الملك، الجمع: سلاطين.

(٢) الإرادة: هي المشيئة والعزم، الهموم المفرد: هم، الحزن، وأول العزيمة، العزوم: من عزم، الجد في الأمور، والعزم: الصبر والجدُّ والثبات والشدة فيما يعزم عليه الإنسان قال الله تعالى في سورة لقمان الآية ١٧: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾، تشتيتها: تفريقها، الجمع: أشتات، يقال: ذهبوا أشتاتًا أي متفرقين، قال الله تعالى في سورة الزلزلة الآية ٦: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾. انفراطها تفرقها وشتاتها، النعيم كل ما يلتذ به ويتنعم من مطعم ومفرش ومركب وغير ذلك، وطيب العيش وحُسن الحال، الغموم المفرد غم، الكرب والحزن، الحسرات المفرد حسرة، شدة التلهُّف والحزن، الحظوظ: المفرد: حظ، النصيب من الخير، والجدُّ =

ويُبعد القريب.

فيجمع ما تفرَّق على العبد من قلبه وإرادته، وهمومه وعزومه والعذاب كل العذاب في تفرقتها وتشتتها عليه، وانفراطها له.

والحياة، والنعيم كل النعيم في اجتماع قلبه وهمِّه، وعزمه وإرادته، ويفرق ما اجتمع عليه من الهموم، والغموم، والأحزان، والحسرات على فوت حظوظه ومطالبه، ويفرق أيضًا ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياه وأوزاره، حتى تتساقط عنه وتتلاشى وتضمحل، ويفرِّق أيضًا ما اجتمع على حربه من جند الشيطان، فإن إبليس لا يزال يبعث له سرية بعد سرية، وكلما كان أقوى طلبًا لله سبحانه وتعالى، وأشد تعلُّقًا به وإرادة له، كانت السرية أكثف وأكثر وأعظم شوكة، بحسب ما عند العبد من مواد الخير والإرادة، ولا سبيل إلى تفريق هذا الجمع إلا بدوام الذِّكر.

وأما تقريبه البعيد فإنه يُقرِّب إليه الآخرة التي يبعدها منه الشيطان

= والبخت، الأوزار المفرد: وزر، الحمل الثقيل، والإثم والذنب، تضمحل من ضحمل: ضعف وانحل شيئًا فشيئًا حتى تلاشى، واضمحلت السحاب: انقشعت، إبليس سبق التعريف عنه في رقم (١)، سرية: قطعة من الجيش، الجمع: سرايا، أكثف: من كثف غلظ وثخن، شوكة السلاح والقوة والبأس، الآخرة تقابل الأولى، وهي دار البقاء بعد الموت، وقد وردت في القرآن الكريم في ١٤ موضعًا، قال الله عز وجل في سورة البقرة الآية ٢٠١: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾، المرحلة: المسافة يقطعها المسافر في نحو يوم، أو ما بين كل منهلين، الجمع: مراحل.

والأمل، فلا يزال يلهج بالذكر حتى كأنه قد دخلها وحصرها، فحينئذ تصغر في عينه الدنيا، وتعظم في قلبه الآخرة.

ويبعد القريب إليه وهو الدنيا التي هي أدنى إليه من الآخرة، فإن الآخرة متى قربت من قلبه بعدت منه الدنيا، وكلما قرب من هذه مرحلة بعد من هذه مرحلة، ولا سبيل إلى هذا إلا بدوام الذكر والله المستعان.

١٢٤ -[(١)] إن الذكر ينبه القلب من نومه، ويوقظه من سِنته، والقلب إذا كان نائمًا فاتته الأرباح والمتاجر، وكان الغالب عليه الخُسران، فإذا استفاق وعلم ما فاته من نومته شد المئزر، وأحيا بقية عمره، واستدرك ما فاته، ولا تحصل يقظته إلا بالذكر، فإن الغفلة نوم ثقيل.

١٢٥ -[(٢)] إن الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمّر إليها

---

(١) السنة: النعاس والغفوة، الخسران: الخسارة، المئزر: كساء يغطي النصف الأسفل من البدن، ويقابله الرداء، وهو ما يستر النصف الأعلى، اليقظة: نقيض النوم،الغفلة: غيبة الشيء عن بال الإنسان وعدم تذكره له، والجمع: غفلات.

(٢) المعارف العلوم، شمَّر: خف للأمر ونشط، التوحيد: الإقرار بوحدانية الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله، المقام: المكان الذي ثبت أن أحد الأنبياء أو الأولياء وقف فيه، ومنه مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام بجوار الكعبة، قال الله تعالى في سورة البقرة الآية ١٢٥: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، وهو المنزلة، ومنه المقام المحمود، والشفاعة العظمى الذي أكرم الله به سيدنا محمدًا ﷺ يوم القيامة، قال تعالى في سورة الرحمن الآية ٤٦: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾. المقام: الإقامة وموضعها وزمانها ومنه كما قال الله تعالى في سورة الأحزاب الآية ١٣: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾، الأس: الأساس أي: أصل البناء، الجمع أسس.

السَّالكون، فلا سبيل إلى نيل ثمارها إلا من شجرة الذكر، وكلما عظُمت تلك الشجرة ورسخ أصلها، كان أعظم لثمرتها، فالذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد، وهو أصل كل مقام، وقاعدته التي ينبني ذلك المقام عليها، كما يُبنى الحائط على أُسِّه، وكما يقوم السقف على حائطه، وذلك أن العبد إن لم يستيقظ لم يمكنه قطع منازل السَّير، ولا يستيقظ إلا بالذكر كما تقدم، فالغفلة نوم القلب أو موته.

١٢٦ -(١) إن الذاكر قريب من مذكوره، ومذكوره معه، وهذه المعيَّة معية خاصة غير معيَّة العلم والإحاطة العامة، فهي معية بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ [النحل: ١٢٨]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وقوله: ﴿وَإِنَّ

---

(١) الآية الأولى سورة النحل الآية ١٢٨، الآية الثانية: سورة البقرة الآية ٢٤٩،الآية الثالثة: سورة العنكبوت الآية ٦٩، الآية الرابعة: سورة التوبة الآية ٤٠.

والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه تعليقًا، وأخرجه الإمام أحمد مسندًا (٢/ ٥٤٠)، وأخرجه ابن ماجة في الحديث رقم (٣٧٩٢)، في الأدب، باب فضل الذكر، وأخرجه ابن حبان في الحديث رقم (٢٣١٦)، موارد في الأذكار، باب فضل الذكر والذاكرين، وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٦) وصححه ووافقه الذهبي. انظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن قيم الجوزية بتحقيق: الأستاذ بشير محمد عيون، (ص١٣٢).

أقنطهم من قنط: يئس وأشد اليأس وانقطع أمله في الخير فهو قانط، وقنوط، قال الله تعالى في سورة الزمر: ﴿ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾، المعائب: من عاب والعيبة: الوصمة، والنقيصة، المذمة، والمعاب: العيب، والجمع: معائب ومعايب.

ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقوله: ﴿لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠].

وللذكر مع هذه المعية نصيب وافرٌ، كما في الحديث الإلهي: (أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه).

وفي أثر آخر: أهل ذكري أهل مجالستي، وأهل شكري أهل زيارتي، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي، إن تابوا إلىّ فأنا حبيبهم، فإني أُحبُّ التوابين، وأحب المتطهرين، وإن لم يتوبوا، فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب، لأطهرهم من المعائب.

١٢٧ -(١) أن الذِّكر يعدل عتق الرِّقاب، ونفقة الأموال، والحمل على

---

(١) العتق: هو عتق العبد، خرج من الرِّقّ والعبودية، فهو عتيق، الجمع عتقاء، وعتق الرِّقاب في تحريرها من الرق أو الأسر، الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب بدء الخلق (٦٣)، في الحديث رقم (٣١١٩) باب صفة إبليس وجنوده، وفي كتاب الدعوات في الحديث رقم (٦٠٤٠) باب فضل التهليل، وأخرجه مسلم في صحيحه في الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء في الحديث رقم (٢٦٩١)، وأخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٠٢، ٢٧٥)، وأخرجه مالك في الموطأ (١/ ٢٠٩) في القرآن باب: ذكر الله تبارك وتعالى، وأخرجه الترمذي في سننه في الحديث رقم (٣٤٦٤) في الدعوات، الحرز: الموضع الحصين، والعوذة التي يتعوذ بها، والحريز: المُحَصَّن، قول أبي الدرداء ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٩٥) ونسبه إلى ابن أبي الدنيا، وقال: موقوف حسن، والفقرة الأخيرة منه ثبتت في المرفوع في حديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده والترمذي وابن ماجة في سننهما وغيرهم من حديث عبد الله بن بسر بلفظ: «**لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله**» الأحاديث انظر: الذكر في حديث رسول الله ﷺ في أول هذا الكتاب.

الخيل في سبيل الله عز وجل، ويعدل الضرب بالسيف في سبيل الله عز وجل، وفي الحديث: «مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةَ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةَ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِي».

ذكر ابن أبي الدُّنيا عن الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، قال: قيل لأبي الدرداء: إن رجلاً أعتق مائة نسمة.

قال: إن مائة نسمة من مال رجل كثير، وأفضل من ذلك إيمان ملزوم بالليل والنهار، وأن لا يزال لسان أحدكم رطبًا من ذكر الله عز وجل.

وقال ابن مسعود: لأن أسبح الله تعالى تسبيحات أحب إلى من أن أنفق عددهن دنانير في سبيل الله عز وجل.

وجلس عبد الله بن عمرو، وعبد الله بن مسعود، فقال عبد الله بن مسعود: لأن آخذ في طريق أقول فيه: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) أحب إلى من أن أنفق عددهن دنانير في سبيل الله عز وجل.

فقال عبد الله بن عمرو: لأن آخذ في طريق فأقولهنّ أحبَّ إليَّ من أن أحمل عددهن على الخيل في سبيل الله عز وجل.

١٢٨-[(١)] إن الذكر رأس الشكر، فما شكر الله تعالى من لم يذكره.

ذكره البيهقي عن زيد بن أسلم، أن موسى عليه السلام قال: رب قد أنعمت عليَّ كثيرًا، فدلَّني على أن أشكرك كثيرًا، قال: اذكرني كثيرًا، فإذا ذكرتني كثيرًا فقد شكرتني كثيرًا، وإذا نسيتني فقد كفرتني.

وقد ذكر البيهقي أيضًا في (شعب الإيمان) عن عبد الله بن سلام قال: قال موسى عليه السلام: يا رب ما الشكر الذي ينبغي لك؟ فأوحى الله تعالى إليه أن لا يزال لسانك رطبًا من ذكري، قال: يا ربِّ إني أكون على

(١) موسى: نبي الله عليه السلام، أشهر رجال التوراة، ومن أكبر مشترعي البشرية، ولد في مصر، وأنقذته ابنة فرعون من المياه فتربى في قصر أبيها، بدأ رسالته في سن الأربعين، بعد أن لجأ إلى برية سينا، فأرسله الله لينقذ بني إسرائيل من مظالم فرعون، فجاز معهم برية سينا مدة أربعين سنة، لقب بكليم الله، وورد ذكره في القرآن الكريم في ١٣٦ موضعًا. فقني جنِّبني، الجنابة المني والنجاسة والجنابة المعنوية الناشئة عن وطء أو إنزال مني بشهوة أو حيض أو نفاس.

والجنب: هو من أصابته الجنابة فصار جُنبًا بجماع أو إنزال، وهو وهي وهم وهن جُنبٌ.

الحديث أخرجه أحمد في المسند (١/٢١٧، ٢٢٠، ٢٤٣، ٢٨٣، ٢٨٦)، وأخرجه البخاري في الحديث رقم (١٤١) في كتاب الوضوء، باب التسمية على كل حال وعند الوقاع، وأخرجه في الأحاديث رقم (٣٠٩٨، ٣١٠٩، ٤٨٧٠، ٦٠٢٥، ٦٩٦١) في النكاح، باب ما يقول الرجل إذا دخلت عليه أهله، وابن السني في عمل اليوم والليلة رقم (٦١٣)، من حديث ابن عباس. انظر: كتابنا ٢٤ ساعة مع الحبيب المصطفى ﷺ الحديث رقم (٢٢).

الخلاء: قضاء الحاجة ومكانها الخلوة، والنسبة إلى الخلاء: خلائي وخلاوي. القذر الوسخ، الجمع قاذورات.

حال أُجِلُّك أن أذكرك فيها.

قال: وما هي؟

قال: أكون جنبًا، أو على الغائط، أو إذا بلت.

فقال: وإن كان.

قال: يا رب، فما أقول؟

قال: تقول:(سبحانك وبحمدك وجنبني الأذى وسبحانك وبحمدك فقني الأذى).

قالت عائشة: كان رسول الله محمد ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه.

ولم تُستثن حالة من حاله، وهذا يدلُّ على أنه كان يذكر ربه تعالى في حال طهارته وجنابته، وأما في حال التخلي، فلم يكن يشاهده أحد يحكي عنه، ولكن شرع لأمته من الأذكار قبل التخلِّي وبعده ما يدلُّ على مزيد الاعتناء بالذكر وأنه لا يخلُّ به عند قضاء الحاجة وبعدها، وكذلك شرع لأمته من الذكر عند الجماع أن يقول أحدهم: «بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا).

وأما الذكر عن نفس قضاء الحاجة، وجماع الأهل، فلا ريب أنه لا يكره بالقلب؛ لأنه لا بد لقلبه من ذكر، ولا يمكنه صرف قلبه عن ذكر من هو

أحب شيء إليه، فلو كُلِّف القلب نسيانه لكان تكليفه بالمحال، كما قال القائل:

يُـرَادُ مِـنَ القَلْـبِ نِـسْيَانُكُمْ ** وَتَـأْبَى الطِّبَـاعُ عَـلَى النَّاقِـلِ

فأما الذكر باللسان على هذه الحالة، فليس مما شَرَعَ لنا، ولا إليه رسولنا ﷺ، ولا نُقِل عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم.

وقال عبد الله بن أبي الهذيل: إن الله تعالى ليحب أن يذكر في السُّوق ويحب أن يذكر على كل حال، إلا على الخلاء.

ويكفي في هذه الحال استشعار الحياء، والمراقبة، والنعمة عليه في هذه الحالة، وهي من أجل الذكر، فذكر كل حال بحسب ما يليق بها واللائق بهذه الحال، هو التَّقَنُّع بثوب الحياء من الله تعالى، وإجلاله، وذكر نعمته عليه، وإحسانه إليه في إخراج هذا القذر المؤذي له الذي لو بقي فيه لقتله، فالنعمة في تيسير خروجه، كالنعمة في التغذي به.

وكان علي بن أبي طالب إذا خرج من الخلاء، مسح بطنه، وقال: يا لها من نعمةٌ لو يعلم الناس قدرها.

وكان بعض السَّلف يقول: الحمد لله الذي أذاقني لذَّته، وأبقي فيَّ منفعته، وأذهب عني مضرّته.

وكذلك ذكره حال الجماع ذكر هذه النعمة التي منَّ بها عليه، وهي

أجلُّ نعم الدنيا، فإذا ذكر نعمة الله تعالى عليه بها، هاج من قلبه هائج الشُّكر، فالذكر رأس الشكر.

١٢٩-[(١)] إن أكرم الخلق على الله تعالى من المتقين من لا يزال لسانه رطبًا بذكره، فإنه اتقاه في أمره ونهيه، وجعل ذكره شعاره.

فالتقوى أوجبت له دخول الجنة والنجاة من النار، وهذا هو الثواب والأجر.

والذكر يوجب له القرب من الله عز وجل والزُّلفى لديه، وهذه هي المنزلة.

وعُمال الآخرة على قسمين: فمنهم من يعمل على الأجر والثواب، ومنهم من يعمل على المنزلة والدرجة، فهو ينافس غيره في الوسيلة والمنزلة عند الله تعالى، ويسابق إلى القرب منه، وقد ذكر الله تعالى النوعين في سورة

---

(١) الزلفى المنزلة والدرجة والقربة، وألفها للتأنيث، قال تعالى في سورة سبأ الآية ٣٧: ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ ﴾ أي قربة. المنزلة: الدرجة والرتبة والمكانة، الوسيلة ما يتقرب به إلى الشيء، والوسيلة إلى الله سبحانه: ما يوصل إلى ثوابه وذلك بفعل الطاعات وترك المعاصي، قال تعالى في سورة المائدة الآية ٣٥: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾، الآية الأولى: سورة الحديد الآية ١٨، الآية الثانية سورة الحديد الآية ١٩، الآية الثالثة: سورة الحديد الآية ١٩، أثاب كافأه وجازاه على صنيعه، وتكون الإثابة في الخير غالبًا، الآية الرابعة سورة المائدة الآية ١٠، العارفون المدركون بحاسة من حواسهم، الموصولون بقلوبهم مع الله عز وجل.

الحديد في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ [الحديد: ١٨]، فهؤلاء أصحاب الأجور والثواب ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ﴾ [الحديد: ١٩]، فهؤلاء أصحاب المنزلة والقرب، ثم قال: ﴿ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ [الحديد: ١٩] إنهم صدِّيقون وشهداء، فهذه هي المرتبة والمنزلة.

فالشهداء يجري الله تعالى عليهم رزقهم ونورهم؛ لأنهم لما بذلوا أنفسهم لله تعالى أثابهم الله تعالى عليها أن جعلهم أحياءً عنده يرزقون، فيجري عليهم رزقهم ونورهم، فهؤلاء السعداء.

ثم ذكر الأشقياء فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الحديد: ١٩].

١٣٠-[١] إن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى.

وذكر حماد بن زيد، عن المعلى بن زياد، أن رجلاً قال للحسن: يا أبا سعيد، أشكو إليك قسوة قلبي.

---

(١) القسوة: هي الغلظ والصلاة والشدة في كل شيء، وهي جمود القلب وعدم الرحمة، «يذيبها»: من ذوب، ذاب الشحم وغيره، سال بعد جمودٍ، الرصاص معدن رخو كثيف يقاوم التآكل نسبيًا، يستخدم بصنع الأقطاب في البطاريات، وينصهر عند ٣٢٧°.

قال: أذبه بالذكر؛ وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة، اشتدت به القسوة، فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرَّصاص في النار، فما أُذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عز وجل.

١٣١-[١] إن الذكر شفاء القلب ودواؤه، والغفلة مرضه، فالقلوب مريضة وشفاؤها ودواؤها في ذكر الله تعالى.

وذكر البيهقي عن مكحول مرفوعًا ومرسلاً: فإذا ذكرته شفاها وعافاها، فإذا غفلت عنه انتكست، كما قيل:

إِذَا مَرِضْنَا تَدَاوَيْنَا بِذِكْرِكُمُ ** فَنَتْرُكُ الذِّكْرَ أَحْيَانًا فَنَنْتَكِسُ

١٣٢-[٢] إن الذكر أصل موالاة الله عز وجل ورأسها، والغفلة أصل معاداته ورأسها، فإن العبد لا يزال يذكر ربه عز وجل حتى يُحبه فيواليه، ولا يزال يغفل عنه حتى يبغضه فيعاديه.

قال الأوزاعي: قال حسان بن عطية: ما عادى عبد ربه بشيء أشد عليه من أن يكره ذِكره أو من يَذكره.

فهذه المعاداة سببها الغفلة، ولا تزال بالعبد حتى يكره ذكر الله، ويكره من يذكره، فحينئذ يتخذه عدوًّا كما اتَّخذ الذَّاكر وليًّا.

---

(١)انتكست: من نكس، ونكس المريض أي عاودته العلة بعد النقه، والنكس: عود المرض بعد النقه، يقال: تعسًا له، ونكسًا: دعاءٌ على الرجل بالتعاسة وسوء الحال.

(٢)الموالاة: المتابعة وهي أيضًا ضد المعاداة.

١٣٣-[١] إنه ما استجلبت نِعم الله عز وجل، واستدفعت نقمه بمثل ذكر الله تعالى، فالذكر جلاب للنعم، دافع للنقم، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨]، فدفعه ودفاعه عنهم بحسب قوَّة إيمانهم وكماله، ومادَّة الإيمان وقوته بذكر الله تعالى، فمن كان أكمل إيمانًا، وأكثر ذكرًا، كان دفع الله تعالى عنه ودفاعه أعظم، ومن نقص نقص ذكرًا بذكر، ونسيانًا بنسيان، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧].

والذكر رأس الشُّكر، والشُّكر جلاب النِّعم، وموجب للمزيد.

قال بعض السَّلف رحمة الله عليهم: ما أقبح الغفلة عن ذكر من لا يغفُلُ عن ذكرك.

١٣٤-[٢] إن الذكر يوجب صلاة الله عز وجل وملائكته على الذَّاكر، ومن صلى الله تعالى عليه وملائكته فقد أفلح كل الفلاح، وفاز كل الفوز،

---

(١) النقمة: اسم من الانتقام، العقوبة، الجمع: نِقَمٌ، النِّعم: مفردة نعمة: ما أنعم به من رزق ومال، والحال الحسنة، والصنيعة والمنة يقال: لك عندي نعمة لا تُنكر، أي: منَّة وفضل، ويقال: فلان واسع النعمة أي: واسع المال. الآية الأولى من سورة الحج الآية ٣٨، والآية الثانية من سورة إبراهيم الآية ٧، الشكر: عرفان الجميل ونشره والثناء على المحسن، والشكر من الله لعباده: مجازاتهم على أعمالهم الصالحة، والرضا والثواب، السلف : كل ما تقدم المرء من آبائه وأجداده وذوي قرباه، يقال: هو خير خلف لخير سلف، ومذهب السِّلف: مذهب المتقدمين، الجمع أسلاف.

(٢) الآية، سورة الأحزاب الآيات ٤١-٤٣.

قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

فهذه الصلاة منه تبارك وتعالى ومن ملائكته، إنما هي على الذَّاكرين له كثيرًا، وهذه الصلاة منه ومن الملائكة هي سبب الإخراج لهم من الظُّلمات إلى النور، وإذا حصلت لهم الصلاة من الله تبارك وتعالى وملائكته، وأخرجوهم من الظلمات إلى النور، فأيُّ خير لم يحصل لهم بذلك؟ وأيُّ شرٍّ لم يندفع عنهم؟ فيا حسرة الغافلين عن ربهم ماذا حُرِمُوا من خيره وفضله، وبالله التوفيق.

١٣٥-[(١)] إنه من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا، فليستوطن مجالس الذكر، فإنها رياض الجنة.

وقد ذكر ابن أبي الدنيا وغيره من حديث جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: (مجالس الذكر) ثم قال: (اغدوا وروحوا واذكروا، فمن كان يُحبُّ أن يعلم منزلته عند الله تعالى، فلينظر كيف منزلة

(١) رياض المفرد: روضة: الأرض ذات الخضرة والماء، والبستان الحسن، والمكان الذي يجتمع فيه الماء ويكثر ويُعجب زهره، والروضة: الموضع المعجب بالزهور. الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٤)، وصححه، وتعقبه الذهبي، ولأوله شواهد ذكرها ابن علان في الفتوحات الربانية (١/ ٩١-٩٣).

الله تعالى عنده، فإن الله تعالى يُنزل العبد منه حيث أنزله من نفسه).

١٣٦-[١] إن مجالس الذكر مجالس الملائكة، فليس من مجالس الدنيا لهم مجلس إلا مجلس يذكر الله تعالى فيه، كما أخرجا في الصحيحين من حديث الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ للهِ مَلائِكَةً فُضُلاً عَنْ كِتَابِ النَّاسِ يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَعَالَى تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِم إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ تَعَالَى -وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ-: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لاَ يَا رَبِّ، قَالَ: فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَحْمِيدًا وَتَمْجِيدًا، وَأَكْثَرُ تَسْبِيحًا، قَالَ: فَيَقُولُ: مَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ، مَا رَأَوْهَا، قَالَ: فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ**

---

(١) الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه في الحديث رقم (٦٠٤٥) في كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل بلفظ: **إن لله ملائكة يطوفون في الطرق** وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه في الحديث رقم (٢٦٨٩) في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل مجالس الذكر بلفظ: **إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلاً يتبعون مجالس الذكر،** وأخرجه الترمذي في سننه في الحديث رقم (٣٥٩٥) في كتاب الدعوات، باب رقم (١٤٠)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده في (٢/٢٥٢، ٣٥٩، ٣٨٢).

رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قال: فَيَقُولُونَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: مِنْ النَّارِ، قَالَ: يَقُولُ: هَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: يَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ: فِيهِمْ فُلانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمْ الجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

فهذا من بركتهم على نفوسهم وعلى جليسهم، فلهم نصيب من قوله: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾ [مريم: ٣١]، فهكذا المؤمن مبارك أين حل، والفاجر مشؤوم أين حل.

فمجالس الذكر: مجالس الملائكة، ومجالس الغفلة: مجالس الشياطين، وكل مضاف إلى شكله وأشباهه، وكل امرئ يصير إلى ما يناسبه.

١٣٧ -[١] إن الله عز وجل يباهي بالذاكرين ملائكته، كما روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: خرج معاوية على حَلْقَةٍ في المسجد، فقال: (ما أجلسكم؟) قالوا: جلسنا نذكر الله جل وعلا، قال:

---

(١) يباهي: يفاخر في الحُسن، معاوية: هو معاوية بن أبي سفيان، الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في الحديث رقم (٢٠٧١) في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، وأخرجه الترمذي في سننه في الحديث رقم (٣٣٧٦) في كتاب الدعوات، باب القوم يجلسون فيذكرون الله ما لهم من الفضل، وأخرجه النسائي في سننه في (٨/ ٢٤٩) في كتاب القضاة، باب كيف يستخلف الحاكم، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٩٢).

(آلله ما أجلسكم إلا ذاك) قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: (أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم) وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثًا مني، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: (مَا أَجْلَسَكُمْ؟) قالوا: جلسنا نذكر الله جلَّ جلاله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومَنَّ به علينا، قال: (آلله مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟) قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: **«أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ؛ وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُبَاهِي بِكُمُ المَلائِكَةَ»**.

فهذه المباهاة من الرب تبارك وتعالى دليل على شرف الذكر عنده، ومحبته له، وأن له مزية على غيره من الأعمال.

١٣٨-[١] إن مدمن الذكر يدخل الجنة وهو يضحك، لما ذكر ابن أبي الدنيا عن عبد الرحمن بن مهدي، عن معاوية بن صالح، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي عن أبيه عن أبي الدرداء قال: **«الذين لا تزال ألسنتهم رطبة من ذكر الله عز وجل يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك»**.

١٣٩-[٢] إن جميع الأعمال إنما شرعت إقامة لذكر الله تعالى،

---

(١) (مدمن) من أدمن: واظب عليه ولم يُقلع عنه. انظر الحديث رقم (٢) في باب الذكر في الأحاديث النبوية الشريفة في مطلع كتابنا.

(٢) (شُرِّعت): سُنَّت ووضِّحت، (الآية الأولى)من سورة طه الآية ١٤، (لآية الثانية) من سورة العنكبوت الآية ٤٥.

والمقصود بها تحصيل ذكر الله تعالى.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [طه: ١٤]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

١٤٠ -[1] إن أفضل أهل كلِّ عمل أكثرهم فيه ذكرًا لله عز وجل، فأفضل الصُّوَّام: أكثرهم ذكرًا لله عز وجل في صومهم، وأفضل المتصدقين: أكثرهم ذكرًا لله عز وجل، وأفضل الحجاج : أكثرهم ذكرًا لله عز وجل، وهكذا سائر الأعمال.

وقد ذكر ابن أبي الدنيا حديثًا مرسلاً في ذلك: أن النبي ﷺ سئل: أيُّ أهل المسجد خير؟ قال: **«أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»**.

قيل: أي الجنازة خير؟

قال: **«كْثَرُهُمْ ذِكْرًا اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»**.

قيل: فأي المجاهدين خير؟

قال: **«أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»**.

قيل: فأي الحُجَّاج خير؟

---

(١) (تكابدوه): من كابد: قاسى الأمر شدته وعانة مشقته، وتكبَّد: تحمل بمشقة.

قال: «أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا اللهِ عَزَّ وَجَلَّ».

قيل: وأي العباد خير؟

قال: «أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا اللهِ عَزَّ وَجَلَّ».

وقال عبيد الله بن عمير: إن أعظمكم هذا الليل أن تُكابدوه، وبخلتم بالمال أن تنفقوه، وجبنتم عن العدوِّ أن تقاتلوه، فأكثروا من ذكر الله عز وجل.

١٤١ -[١] إن إدامة الذكر تنوب عن التطوُّعات، وتقوم مقامها، سواء كانت بدنية أو مالية أو بدنية مالية، كحجِّ المتطوِّع.

---

(١) (إدامة) مواظبة، (التطوعات): من طاع يطيع، إذا انقاد، والتطوع بالشيء: التبرع به، وهو ما شرع زيادة عن الفرض، النفل، (الدُّثور): المفرد دثر، الكثير من كل شيء، (الحديث الأول) أخرجه البخاري في صحيحه في الحديث رقم (٨٠٧) في كتاب صفة الصلاة، باب الذكر بعد الصلاة، وفي الحديث (٥٩٧٠)، وأخرجه مسلم في الحديث رقم (٥٩٥) في المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وأخرجه مالك في الموطأ (١/ ٢٩٠) في كتاب القرآن، باب ما جاء في ذكر الله تبارك وتعالى، وأخرجه أبو داود في سننه في الحديث رقم (١٥٠٤) في كتاب الصلاة، باب: التسبيح بالحصى، وأخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٣٨)، وأخرجه الدارمي في الحديث رقم (١٣٦٠)، في الصلاة، باب التسبيح في دبر كل صلاة، الآية: سورة المائدة الآية ٥٤. خلال المفرد خلة، خصلة، (الحديث الثاني) أخرجه بمعناه الترمذي في سننه في الحديث رقم (٣٣٧٢) في كتاب الدعوات، باب فضل الذكر، وأخرجه ابن ماجة في سننه في الحديث رقم (٢٧٩٣)، في كتاب الأدب، وإسناده صحيح، وأخرجه الحاكم في مستدركه (١/ ٢٤٥) وصححه ووافقه الذهبي.

وقد جاء ذلك صريحًا في حديث أبي هريرة: إن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدُّثُورِ من الأموال بالدرجات العلا، والنَّعيم المقيم، يُصلُّون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل أموالهم، ويحجُّون بها، ويعتمرون، ويجاهدون، ويتصدقون، فقال: «**أَلا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلا أَحَدٌ يَكُونُ أَفْضَلَ مِنكُمْ إِلا مَنْ صَنَعَ مَا صَنَعْتُمْ؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**تُسَبِّحُونَ، وَتَحْمَدُونَ، وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاةٍ**».

فجعل الذكر عوضًا لهم عما فاتهم من الحج والعمرة والجهاد، فلما سمع أهل الدُّثور بذلك عملوا به، فازدادوا -إلى صدقاتهم وعبادتهم بمالهم- التَّعبُّد بهذا الذِّكر، فحازوا الفضيلتين، فنافسهم الفقراء، فأخبروا رسول الله ﷺ بأنهم قد شاركوهم في ذلك، فانفردوا عنهم بما لا قدرة لهم عليهم فقال: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٥٤].

وفي حديث عبد الله بن بسر قال: جاء أعرابي فقال: يا رسول الله، كثُرت عليَّ خلال الإسلام وشرائعه، فأخبرني بأمر جامع يكفيني، قال: «**عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى**» قال: ويكفيني يا رسول الله؟ قال: «**نَعَمْ، وَيَفْضُلُ عَنْكَ**».

فدلَّه الناصح الأمين ﷺ على شيء يعينه على شرائع الإسلام والحرص عليها والاستكثار منها، فإنه إذا اتخذ ذكر الله تعالى شعاره أحبَّه

وأحبَّ ما يحبُّ، فلا شيء أحبَّ من التقرب بشرائع الإسلام، فدلّه الرسول ﷺ على ما يتمكَّن به من شرائع الإسلام، وتسهِّل به عليه، وهو ذكر الله عز وجل.

١٤٢-[(١)] إن ذكر الله عز وجل من أكبر العون على طاعته، فإنه يُحبِّبها إلى العبد، ويُسهِّلها عليه، ويلذِّذها له، ويجعل قرَّة عينه فيها، ونعيمه وسروره بها، حيث لا يجد لها من الكلفة والمشقة ما يجد الغافل، والتجربة شاهدة بذلك.

١٤٣-[(٢)] إن ذكر الله عز وجل يسهل الصعب، وييسر العسير، ويخفف المشاق، فما ذُكِرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ على صعب إلا هان، ولا عسير إلا تيسر، ولا مشقة إلا خفَّت، ولا شدة إلا زالت، ولا كربة إلا انفرجت، فذكر الله تعالى هو الفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر، والفرج بعد الغمِّ والهمِّ.

---

(١) يلذذها: من لذذ، صار شهيًا فهو لذيذ، قال الله تعالى في سورة محمد ﷺ الآية: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾، قرة عينه: ما يرضى ويسر، الكلفة: المشقة.

(٢) الصعب: العَسْر، الممتنع، الشاق، العسير: الشديد الضيق والصعوبة، المشاق: المفرد: مشقة: العناء والجهد، كربة: الحزن والغم الشديد، وفي هذا الصدد يقول الله تبارك وتعالى في سورة الرعد الآية ٢٨: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾.

١٤٤ -[1] إن ذكر الله عز وجل يذهب عن القلب مخاوفه كلها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل، إذ بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه، حتى كأن المخاوف التي يجدها أمانًا له، والغافل خائف مع أمنه حتى كأن ما هو فيه من الأمن كله مخاوف، ومن له أدنى حسن قد جرب هذا.

١٤٥ -[2] إن الذكر يعطي الذاكر قوة، حتى إنه ليقع مع الذكر ما لم يطق فعله بدونه، وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في مشيته،

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: انظر شرح ديوان ابن تيمية، الحديث الأول أخرجه الإمام البخاري في الحديث رقم (٣٥٠٢) في كتاب فضائل الصحابة، باب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي، أبي الحسن رضي الله عنه، وفي الحديث (٢٩٤٥) وأخرجه الإمام مسلم في الحديث رقم (٢٧٢٧) في كتاب الذكر والدعاء، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، وأخرجه الترمذي في سننه في الحديث رقم (٣٤٠٥) في كتاب الدعوات، باب: ما جاء في التسبيح والتكبير والتحميد عند المنام، وأخرجه أبو داود في سننه في الحديث رقم (٥٠٦٢) في كتاب الأدب، باب في التسبيح عند النوم، وأخرجه أحمد في المسند (١/ ٩٦، ١٠٧، ١٣٦، ١٤٦)، وأخرجه الدارمي في الحديث رقم (٢٦٨٨) في كتاب الاستئذان، باب في التسبيح عند النوم، ناهض قادم، الحديث الثاني: إسناده منقطع، انظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن قيم الجوزية تحقيق الأستاذ بشير محمد عيون (ص١٥٨).

(٢) المضمار: المكان الذي تتسابق فيه الخيل وتُروض، الجمع: مضامير،القترة: الغبرة وشبه دخان يغشى الوجه من كرب أو هول، الجمع: قتر، انجلى: وضح وظهر وبان وانكشف، قصب السبق سبق أقرانه، وكانوا ينصبون في آخر الميدان قصبة فمن سبق اقتلعها وأخذها ليُعلم أنه السابق، تحسر ندم وتلهف، والتحسُّر: التلهف.

وكلامه، وإقدامه، وكتابته، أمرًا عجيبًا، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة وأكثر، وقد شاهد العسكر من قوته في الحرب أمرًا عظيمًا.

وقد علّم النبي ﷺ ابنته فاطمة وعليًا أن يُسبِّحَا كلَّ ليلة إذا أخذا مضجعهما ثلاثًا وثلاثين، ويحمدا ثلاثًا وثلاثين، ويُكبِّرا ثلاثًا وثلاثين، لما سألته الخادم، وشكت إليه ما تقاسيه من الطحن والسعي والخدمة، فعلمها ذلك وقال: (إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ).

عن معاوية بن صالح، عن أسد بن وَدَاعة رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَالَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ، لَمْ يُصِبْهُ فَقْرٌ أَبَدًا**».

وكان حبيب بن سلمة يستحب إذا لقى عدوًّا، أو ناهض حصنًا، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وإنه ناهض يومًا حصنًا للرُّوم، فانهزم، فقالها المسلمون وكبروا، فانهدم الحصن.

١٤٦ -[(١)] إن عُمَّال الآخرة كلُّهم في مضمار السِّباق، والذَّاكرون هم

---

(١) «الحديث» أخرجه ابن ماجة في سننه في الحديث رقم (٣٧٩٤) في كتاب الأدب، باب فضل لا إله إلا الله، وأخرجه ابن حبان في الحديث رقم (٢٣٢٥) موارد، في كتاب الأذكار، باب: فضل التسبيح والتهليل والتحميد، وإسناده صحيح، وأخرجه الترمذي في سننه في الحديث رقم (٣٤٢٦) في كتاب الدعوات، باب ما يقول العبد إذا مرض، وقال: هذا حديث حسن، وأخرجه الحاكم في المستدرك، وأخرجه أبو يعلى في مسنده، =

أسبقهم في ذلك المضمار، ولكن القَتَرة والغبار يمنع من رؤية سبقهم، فإذا انجلى الغبار وانكشف، رآهم النَّاس وقد حازوا قصب السَّبق.

قال الوليد بن مسلم: حدثنا محمد بن عجلان، سمعت عمر مولى عفرة يقول: إذا انكشف الغطاء للناس يوم القيامة عن ثواب أعمالهم، لم يروا عملاً أفضل ثوابًا من الذكر، فيتحسر عند ذلك أقوام فيقولون: ما كان شيء أيسر علينا من الذكر.

١٤٧ -[١] إن الذكر سبب لتصديق الرب عز وجل عبده، فإنه أخبر عن الله تعالى بأوصاف كماله، ونعوت جلاله، فإذا أخبر بها العبد صدَّقه ربَّه، ومن صدَّقه الله تعالى، لم يحشر مع الكاذبين، ورُجي له أن يحشر مع الصادقين.

روى أبو إسحاق عن الأعز أبي مسلم، أنه شهد على أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: **«إِذَا قَالَ العَبْدُ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ يقول الله تعالى صدق عبدي، لا إِلَهَ إلا أَنَا وَحْدِي وأنا أكبر، وَإِذَا قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لا**

= وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان، وأخرجه الضياء، وعبد بن حميد، وأخرجه النسائي، وهو حديث صحيح، كما قال الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٦٦).

(١) «الحديث الأول»: انظر تخريجه الحديث رقم (٣٢) في كتابنا، وهو من الأحاديث الصحيحة وانظر الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن قيم الجوزية، تحقيق الأستاذ بشير محمد عيون (ص٩٠)، «الحديث الثاني»: المرجع السابق.

إِلَهَ إِلا أَنَا، لا شَرِيكَ لِيَ، وَإِذَا قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، قَال: صَدَقَ عَبْدِي، لا إِلَهَ إِلا أَنَا، لِيَ المُلْكُ وَلِيَ الحَمْدُ، وَإِذَا قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لا إِلَهَ إِلا أَنَا، وَلَا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِي».

١٤٨-[1] أن دور الجنة تبنى بالذكر، فإذا أمسك الذاكر عن الذكر، أمسكت الملائكة عن البناء، فإذا أخذ في الذِّكر أخذوا في البناء.

وذكر ابن أبي الدُّنيا في كتابه، عن حكيم بن محمد الأخنسي قال: بلغني أن دور الجنة تُبنى بالذكر، فإذا أمسك عن الذكر أمسكوا عن البناء، فيقولون: حتى تأتينا النفقة.

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ سَبْعِ مَرَّاتٍ، بُنِيَ لَهُ بُرْجٌ فِي الجَنَّةِ»**.

وكما أن بناءها بالذكر، فغراس بساتينها بالذكر كما تقدم في حديث النبي ﷺ عن إبراهيم الخليل عليه السلام: **«أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ المَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، ولا إِلَهَ إِلا اللهِ، وَاللهُ أَكْبَرُ»**.

---

(١) السد الحاجز بين الشيئين، يقال: ضربت عليه الأرض بالأسداد، أي: سُدَّت عليه الطرق وعميت عليه المذاهب، المحكم: المتقن، وما لا اختلاف فيه ولا اضطراب.

١٤٩ -[1] إن الذكر سد بين العبد وبين جهنم، فإذا كانت له إلى جنهم طريق من عمل من الأعمال، كان الذكر سدًا في تلك الطريق فإذا كان ذكرًا دائمًا كاملاً، كان سدًا محكمًا لا منفذ فيه، وإلا فبحسبه.

قال عبد العزيز بن أبي رواد: كان رجل بالبادية قد اتخذ مسجدًا، فجعل في قلبته سبعة أحجار، كان إذا قضى صلاته قال: يا أحجار! أشهدكم أنه لا إله إلا الله، قال: فمرض الرجل، فعرج بروحه، قال: فرأيت في منامي أنه أمر بي إلى النار، فرأيت حجرًا من تلك الأحجار أعرفه قد عظم، فسد عني بابًا من أبواب جهنم، ثم أتى بي إلى الباب الآخر، فإذا حجر من تلك الأحجار قد عظم، فسد عني بابًا من أبواب جهنم، حتى سدت عني بقية الأحجار أبواب جهنم.

١٥٠ -[2] إن الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب، كما روى حسين المعلم عن عبد الله بن بريدة، عن عامر الشعبي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: أجد في كتاب الله المنزل: أن العبد إذا قال: الحَمْدُ

---

(١) عامر الشعبي هو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار، حدَّث عن سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد، وأبو موسى الأشعري وغيرهم، قال مكحول: ما رأيت أحدًا أعلم من الشعبي، وقال ابن عيينة: علماء الناس ثلاثة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه. ولد سنة ١٩هـ الموافق سنة ٦٤٠ وتوفي سنة ١٠٣هـ الموافق سنة ٧٢١م.

(٢) القفار: القفر: الخلاء من الأرض.

للهِ قالت الملائكة: رَبِّ العَالَمِينَ، وإذا قال: الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ قالت الملائكة: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبدِكَ، وإذَا قال: سُبْحَانَ اللهِ قالت الملائكة: وَبِحَمْدِهِ، وإذا قال: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ قالت الملائكة: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبدِكَ، وإذا قال: لا إِلَهَ إِلا اللهُ قالت الملائكة: وَاللَّهُ أَكْبَرُ وإذا قال: لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ قالت الملائكة: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبدِكَ.

١٥١–[١] إن الجبال والقفار تتباهى، وتستبشر بمن يذكر الله عز وجل عليها.

قال ابن مسعود: إن الجبل لينادي الجبل باسمه، أمر بك اليوم أحدٌ يذكر الله عز وجل؟ فإذا قال: نعم، استبشر.

قال عون بن عبد الله: إن البقاع لينادي بعضها بعضًا: يا جارتاه، أمر بك اليوم أحد يذكر الله؟ فقائلة: نعم، وقائلة: لا، فقال الأعمش عن مجاهد: إن الجبل لينادي الجبل باسمه: يا فلان هل مر بك اليوم ذاكر لله عز وجل؟ فمن قائل: لا، ومن قائل: نعم.

١٥٢–[٢] إن كثرة ذكر الله عز وجل أمان من النفاق، فإن المنافقين

(١) الآية الأولى: سورة النساء الآية ١٤٢، الآية الثانية: سورة المنافقون الآية ٩.

(٢) الخوارج الطائفة الخارجة عن طاعة الإمام، وهم فرقة من الفرق الإسلامية، خرجوا عن طاعة الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ومعاوية بن أبي سفيان وشكلوا فرقة مستقلة، ثم صارت لهم عقائد أهل السنة والجماعة، ثم صاروا فرقًا عديدة.

قليلو الذكر لله عز وجل.

قال الله تعالى في المنافقين: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال كعب: من أكثر ذكر الله عز وجل برئ من النفاق، ولهذا ختم الله تعالى سورة المنافقين بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]، فإن في ذلك تحذيرًا من فتنة المنافقين الذي غفلوا عن ذكر الله عز وجل، فوقعوا في النفاق.

وسئل بعض الصحابة رضي الله عنهم عن الخوارج: منافقون هم؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً.

فهذا من علامة النفاق: قِلَّةُ ذكر الله عز وجل، وكثرةُ ذكره أمان من النفاق، والله عز وجل أكرم من أن يبتلي قلبًا ذاكرًا بالنفاق، وإنما ذلك لقلوب غفلت عن ذكر الله عز وجل.

١٥٣ -[1] إن للذكر من بين الأعمال لذة لا يشبهها شيء، فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذة الحاصلة للذاكر، والنعيم الذي يحصل لقلبه، لكفى به، ولهذا سميت مجالس الذكر رياض الجنة.

قال مالك بن دينار: ما تلذَّذ المتلذذون بمثل ذكر الله عز وجل، فليس

---

(١) مؤونة: القوت، الجمع: مؤونات.

شيء من الأعمال أخفَّ مؤونة منه، ولا أعظم لذَّة، ولا أكثر فرحة وابتهاجًا للقلب.

١٥٤-[(١)] إنه يكسو الوجه نضرةً في الدنيا، ونورًا في الآخرة، فالذَّاكرون أنضر الناس وجوهًا في الدنيا، وأنورهم في الآخرة.

ومن المراسيل عن النبي ﷺ قال: **«مَنْ قَالَ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ: لا إِلَهَ إلا اللهَ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، بِيَدِهِ الخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، أَتَى اللهَ تَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ وَوَجْهُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ»**.

١٥٥-[(٢)] إن في دوام الذِّكْر في الطريق، والبيت والحضر، والسفر، والبقاع، تكثيرًا لشهود العبد يوم القيامة، فإن البقعة، والدار، والجبل والأرض تشهد للذاكر يوم القيامة.

---

(١) النضرة: النعمة والحسن والرونق، ونضرة النعيم: بهجته وبريقه، والنضارة: حُسن الوجه، ونضر الله وجهه: جعله ناضرًا ونعَّمه.

(٢) الحضر خلاف البدو، المدن والقرى والريف، الآية الأولى سورة الزلزلة الآيات ١-٥، الآية الثانية سورة الزلزلة الآية ٤، الحديث أخرجه الترمذي في الحديث رقم (**٣٣٥٠**) في كتاب التفسير، باب: من سورة إذا زلزلت، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، وأخرجه أحمد في مسنده (**٢/ ٣٧٤**)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (**١/ ٥٣٢**) وصححه، وتعقبه الذهبي بأن يحيى بن أبي سليمان منكر الحديث، قاله البخاري، وقال الحافظ في التقريب: لين الحديث، ولكن للحديث شاهدًا عند البيهقي في شعب الإيمان، من حديث أنس. يغتبط: يفرح بالنعمة.

قال تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ [الزلزلة: ١-٥].

روى الترمذي من حديث سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ قال: «**أتدرون ما أخبارها؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإن أخبارها أن تشهد على كل عبدٍ أو أمةٍ بما عمل على ظهرها، وتقول: عمل يوم كذا، كذا وكذا**».

والذاكر لله عز وجل في سائر البقاع يكثر شهوده، ولعلهم -أو أكثرهم- أن يقبلوه يوم القيامة يوم قيام الأشهاد، وأداء الشهادات، فيفرح ويغتبط بشهادتهم.

١٥٦-[1] إن في الاشتغال بالذكر اشتغالاً عن الكلام الباطل من الغيبة، والنميمة، واللغو، ومدح الناس، وذمهم، وغير ذلك، فإن اللسان لا يسكت ألبتة.

فإما لسان ذاكر، وإما لسان لاغ، ولا بد من أحدهما، فهي النفس إن لم تشغلها بالحق، شغلتك بالباطل، والقلب، إن لم تسكنه محبة الله عز وجل، سكنته محبة المخلوقين، ولا بُدَّ واللسان إن لم تشغله بالذكر، شغلك باللغو، وهو

---

(١) الغيبة: أن تذكر أخاك في غيبته بما يكره ويسؤوه ذكره، النميمة: الحديث الذي فيه الوشاية والإفساد، اللغو: ما لا يعتد به من كلام وغيره ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع، الذم نقيض المدح، والمذمة: نقيض المحمدة.

عليك ولا بد، واختر لنفسك إحدى الخطتين، وأنزلها في إحدى المنزلتين.

١٥٧-[١] وهي التي بدأنا بذكرها، وهي أن الشياطين قد احتوشت العبد وهم أعداؤه، فما ظنك برجل قد احتوشه أعداؤه المحنقون عليه غيظًا، وأحاطوا به، وكل منهم يناله بما يقدر عليه من الشر والأذى، ولا سبيل إلى تفريق جمعهم عنه إلا بذكر الله عز وجل.

قال رسول الله ﷺ: **«إِذَا آوَى الرَّجُلُ إِلَى فِرَاشِهِ، ابْتَدَرَهُ مَلَكٌ وَشَيْطَانٌ، فيَقُولُ الْمَلَكُ: اخْتِمْ بِخَيْرٍ، وَيَقُولُ الشَّيْطَانُ: اخْتِمْ بِشَرٍّ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى يَغْلِبُهُ -يَعْنِي النَّوْمُ- طَرَدَ الْمَلَكُ الشَّيْطَانَ وَبَاتَ يَكْلَؤُهُ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ ابْتَدَرَهُ مَلَكٌ وَشَيْطَانٌ، فيَقُولُ الْمَلَكُ: افْتَحْ بِخَيْرٍ، وَيَقُولُ الشَّيْطَانُ: افْتَحْ بَشَرٍّ، فَإِنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَا نَفْسِي بَعْدَ مَوْتِهَا وَلَمْ يُمِتْهَا فِي مَنَامِهَا، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالارْضَ أَنْ تَزُولا إِلَى آخِرِ الايَةِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، طَرَدَ الْمَلَكُ الشَّيْطَانَ وَظَلَّ يَكلَؤُهُ»**[٢].

---

(١) احتوش: أحاط، المحنقون: من حنق، اشتد غيظه، الحنق، الغيظ أو شدته، وأحنق: حقد حقدًا لا يزول.

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٢٠)، وقال: رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح، وأخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة حماد بن زيد. يكلؤه يحفظه.

كنوز الله

أربعة من كنوز الله عز وجل:

١- الذكر. ٢- الاستغفار.

٣- الصبر. ٤- التسبيح.

أولاً: الذكر:

هو أعلى المراتب إذ يستوجب ذكر الرب عز شأنه لعبده الذاكر دل على ذلك قول الحق سبحانه: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

ومن ثمراته أن تطمئن به القلوب إذا جزعت واضطربت لأي أمر دنيوي، وإذا اطمأنت القلوب، هدأت النفوس وانشرحت الصدور، وبرأت أسقامها: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

ومن ثمراته: حياة القلوب لقوله ﷺ: **«ذاكر الله تعالى لا يموت قلبه حين تموت القلوب»**، وقوله ﷺ: **«ذاكر الله في الغافلين، كالشجرة الخضراء في الهشيم»** أي كالشجرة الخضراء في الصحراء الجرداء(١).

ومن ثمراته أيضًا: أن يكون كفارة للذنوب: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية.

ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

ومن ثمراته أنه يمنع الغفلة والنسيان في قوله سبحانه: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف: ٢٤].

ومن ثمراته أيضًا: أنه يكون سلاحًا ينتصر به المظلومون: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

ومن ثمراته: أنه أكبر ناهٍ عن الفحشاء والمنكر: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

والمعنى: أي إن كانت الصلاة وهي عبادة بدنية تنهى عن الفحشاء والمنكر، فإن لا إله إلا الله في النهي والمنع أكبر، فإذا لزم العبد ذكر ربه، واجتنب الزنا وهو المسمى بالفحشاء، فينتهي بذكر الله عن أكبر آفة وأبشع داء، وكذلك ينهاه ذكره عن المنكر وهو كل قبيح أنكره الشرع وحرمه من الخبائث، وفي اجتناب الفحشاء والمنكر أكبر نفع وأفضل دواء، فانظر إلى شفاء ربك كيف جعل ذكره دواء للذاكرين، ينالون به خير الدنيا والدين، فأكثر ذكر ربك وداوم عليه تكن من الفائزين: ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾.

وإذا اقترن الذكر مع التسبيح فإنه يستوجب صلاة الرب سبحانه، وملائكته على عباده الذاكرين المسبحين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ

﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

وصلاة الرب تعني: مغفرته ورحمته للذاكرين والمسبحين، وصلاة الملائكة تعني الاستغفار لهم.

ولقد نهى الله نبيه ﷺ عن إطاعة أصحاب الغفلة في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وقد توعد سبحانه من يعرض عن ذكره بالمعيشة الضنك في الدنيا، وبالعمى يوم القيامة، فقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

وقد اشترط الحق سبحانه وتعالى ذكره كثيرًا للانتصار على الأعداء، وكذلك الفلاح والفوز والرشاد في قوله عز شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وكفى بالذكر فخرًا أن الله تعالى يكون مع عبده الذاكر كما جاء في الحديث القدسي، قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن رب العزة سبحانه: **«أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه»**(١).

(١) رواه الإمام أحمد وابن ماجة والحاكم عن أبي هريرة.

وقال النبي الكريم ﷺ: «**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، وتحركت بى شفتاه فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**»(١).

ومن ثمرات الذكر... أن الملائكة تحف الذاكرين، والرحمة تغشاهم والسكينة تتنزل عليهم، وينالون ذكر الله تعالى لهم في الملأ الأعلى، قال النبي ﷺ: «**لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله تعالى فيمن عنده**»(٢).

وقال النبي ﷺ: «**أفضل الذكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله**»(٣).

ومن ثمرات الذكر أيضًا: أن تفتح أبواب الجنات لأهله، قال النبي ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله مخلصًا بها قلبه دخل الجنة**».

ثانيًا: الاستغفار:

ولقد حكى التنزيل حال قوم وقت السحر وبيّن أن الاستغفار هو الدعامة الأولى في ضراعتهم في قوله عز وجل: ﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ

---

(١) رواه أحمد والبخاري.

(٢) رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة.

(٣) رواه الترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن جابر بن عبد الله.

﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧-١٨].

والاستغفار هو: إعلان توبة العبد في الدنيا، والمغفرة من الله تعالى هي إعلان قبول توبة العبد ولا تكون إلا في القيامة، ولقد جاء الاستغفار واحدًا من أمانين أنزلهما الله تعالى لأمة محمد ﷺ أما الأمان الأول فهو الرسول محمد ﷺ، والأمان الثاني هو الاستغفار، جاء ذلك صراحة في التنزيل في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣].

وقال النبي الأكرم ﷺ: «**أنزل الله تعالى لأمتي أمانين، ثم تلا الآية: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة**»(١).

والاستغفار: مخرجٌ من كل ضيق، وفرجٌ من كل هم، ويرزق الله تعالى به العبد من حيث لا يحتسب دل على ذلك حديث الرسول الأعظم ﷺ: «**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجًا، ومن كل هم فرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب**»(٢).

وفي بيان فضل الاستغفار والترغيب في الإكثار منه، جاء في حديث الرسول بصيغة القسم قوله ﷺ: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في**

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه أبو داود.

اليوم أكثر من سبعين مرة»[(١)].

ومن ثمراته: الزيادة في الرزق، بل يرزق به من قتر عليهم وحرموا غيث السماء، وحرموا المال والولد، ويبست جناتهم وجفت أنهارهم: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ [نوح: ١٠-١].

وقال الرسول ﷺ: **«من استغفر الله دبر كل صلاة ثلاث مرات، فقال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفرت ذنوبه وإن كان فر من الزحف»**[(٢)].

ولقد نبه الله تعالى عباده إلى عدم القنوط من رحمته، مع التوبة والاستغفار فإنه يغفر الذنوب جميعها، ويتوب على من يتوب في قوله سبحانه: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

وجاء في الحديث الشريف قوله ﷺ: **«من قال حين يأوي إلى فراشه: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات، غفر الله ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر، وإن كانت عدد ورق الشجر، وإن**

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أبو يعلى وابن السني.

كانت عدد رمال عالج، وإن كانت عدد أيام الدنيا»[١].

وأخبر الرسول الأعظم ﷺ بسيد الاستغفار: **«سيد الاستغفار أن يقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني، وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»**.

من قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة.

ثالثًا: الصبر:

الصبر هو الفضيلة التي يتحلى بها المؤمن، فيجتاز المحن والشدائد، وهو قوة احتمال النفس والطاقة على شيء تكرهه، وهو الميزان الفيصل بين الكفر والإيمان عند اشتداد الكروب ونزول الخطوب، فإن لم يصبر العبد انتقل من الإيمان إلى الكفر بالجزع والسخط على القضاء، ولقد وضع الحق سبحانه ضوابط للأعمال في الجزاء الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها: ﴿ **مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

---

(١) رواه الإمام أحمد والترمذي.

أما الصبر فلم يخضع لهذه القاعدة في الجزاء، ولم تدركه وحدات القياس الثلاث: الكيل، والميزان، والمساحة، فقال الحق سبحانه مطلقًا: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

ولقد أمر الله تعالى عباده بالاستعانة بالصبر أولاً، وبالصلاة ثانيًا في قوله عز شأنه: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

وقدم الصبر -وهو فضيلة يتحلى بها المؤمن- على الصلاة وهي ركن من أركان الإسلام الخمسة، وقد يسأل سائل، كيف تقدم الفضيلة على الركن؟

قلت له: لأن الصلاة نفسها تحتاج إلى صبر إن لم يكن هناك صبر فلا صلاة.

والصبر ثلاثة أنواع:

١- صبر الرجاء.

٢- صبر البلاء.

٣- صبر الثبات.

أولاً: صبر الرجاء: كما هو الحال في يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف: ٨٣].

ثانيًا: صبر البلاء: كما هو الحال في أيوب عليه السلام: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

ثالثًا: صبر الثبات: مع شدة الأذى والمكابدة، كما هو الحال في أولي العزم من الرسل والمؤمنين: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وصبر الثبات مع البلاء يستوجب معية الرب عز شأنه، بأن يكون مع عبده الصابر، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وكذلك أنه يكون سببًا في حُب الرب سبحانه للعبد، في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وكذلك يكون سببًا في تبشيرهم برضوان الله الأكبر لهم في الحياة وفي الممات، في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦].

كما يستوجب صلاة الرب عليهم ورحمته بهم، وإقراره بأنهم هم المهتدون حق الهداية؛ لأنه لا يصبر على شدة المصائب إلا من هدى الله قلبه بنور الإيمان فيما حكاه القرآن عنهم في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧].

ولقد أمر الله تعالى أحبابه بالصبر والثبات عند لقاء الأعداء، واشتراطه عليهم مقرونًا بالتقوى للفلاح والظفر بعدوهم فقال سبحانه:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

أما صبر الرجاء: فمن ثمراته أن أعاد الحق تعالى على يعقوب بصره وجمع شمله وأبناءه -يوسف وإخوته- فيما حكاه القرآن عنهم: ﴿ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [يوسف: ٩٣].

أما صبر البلاء: فكان من ثمراته أن أعاد الله تعالى على أيوب صحته وعافى بدنه فيما حكاه عنه القرآن، وآتاه الله أهله ومثلهم معهم رحمة من عنده وذكرى لكل من أراد أن يحذو حذوه ويسير على نهجه فقال سبحانه: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَـٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤].

﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَـٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٤٢-٤٤].

ولقد توالت آيات التنزيل التي تحث على الصبر وتأمر الأخيار أن يتسلحوا به عند نزول البلاء واشتداد الكروب.

فنجد أنه بمثابة ميزان للعدل عند قسوة الانتقام العقابي في قوله

سبحانه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [النحل: ١٢٦].

وفي بيان فضله الأمر من الله تعالى لرسوله محمد ﷺ به في قوله سبحانه: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ ﴾ [النحل: ١٢٧].

والصبر أعلى مرتبة من الشكر إذ الشكر يستوجب الزيادة: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ ﴾ [إبراهيم: ٧]، أما الصبر فإنه يستوجب معية الرب سبحانه وحبه للصابر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣]، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

ولقد دلت آيات التنزيل على أنه لا يتحلى بالصبر إلا ذوو الهمم العالية والعزائم القوية في قوله سبحانه: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

ولقد اقترن الصبر بالعبادة وجعل شرطًا لصحتها في قوله سبحانه: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه: ١٣٢].

واقترن مع التسبيح في قوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾ [ق: ٣٩].

ومن ثمرات الصبر أنه لا يدفع السيئة بالحسنة إلا الصابرون،

وبصبرهم ينالون الحظ العظيم في قوله سبحانه: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٥].

وكفى بالصبر فخرًا أن الله تعالى وضع للأعمال جميعها مقادير إلا الصبر يوفى أهله أجرهم بغير حساب، والصبر ليس له جزاء إلا الجنة، فطوبى للصابرين.

رابعًا: التسبيح:

هو لغة الكائنات جميعًا، تُقر به بوحدانية ربها، وتشهد له بالربوبية، حمدًا لذاته، وتقديسًا لصفاته وبه ثباتها وبقاؤها، إذ لا يهلك مع التسبيح أحد، وقد قرر التنزيل أن الكائنات جميعها تسبح بحمد ربها في قوله سبحانه: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٤٤].

فبالتسبيح بقيت السموات وبسطت الأرضون بتسبيحه وذكره وشكره.

وجعله فارقًا بين الأحياء والأموات؛ لأن الأحياء حياتهم في تسبيح وذكر ربهم والأموات هم من ماتت قلوبهم وألسنتهم عن ذكر وتسبيح ربهم.

ولقد استفتح ربنا سبحانه بالتسبيح في مواضع كثيرة من آيات التنزيل

ليعلمنا أن نكون من المسبحين بحمده فأتى به بصيغة الحاضر دلالة على الاستمرارية في قوله تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ ﴾ [الإسراء: ٤٤]، ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٤].

وأتى به بصيغة الماضي أي أن التسبيح موجود لله منذ أوجد الله الكائنات فهي انفطرت على تسبيحه عز شأنه في قوله سبحانه: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [الصف: ١].

ونلاحظ أنه غلب اقتران التسبيح مع عزة الله تعالى وحكمته، أي سبحوا العزيز الذي لا يقهر ولا يغلبه أحد، الحكيم في تدبيره شئون خلقه، فإنه لا يستحق التسبيح بحمده إلا من اتصف بالعزة والحكمة وهو الله وحده.

وأتى الحق سبحانه بالتسبيح بصيغة الأمر في قوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴾ [الأعلى: ١].

وأسند لنفسه عز شأنه الخلق والتسوية، وهو الاعتدال حيث لم يخلق يدًا أطول من الأخرى، ولا قدمًا، بل أحكم الخلق بدقة وسوَّى بين الأعضاء والبنية، كما أسند لنفسه سبحانه تقدير مقادير كل شيء قبل أن لا شيء: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى: ٢-٣].

فكل من سبح بحمده هداه إلى معرفته ومن جملة ما هدى، هدى الشاة

أن تميز وليدها وترضعه من جملة الأغنام مع اتحاد أولادها معه في اللون والحجم والسن، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء وهو الحي الذي لا يموت.

ولقد أرشد الحق سبحانه رسوله الكريم إلى أوقات يستحب فيها التسبيح في قوله عز شأنه: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]، ﴿وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠]، ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [ق: ٤٠].

وجاء في حديث الرسول ﷺ: **«أحب الكلام إلى الله تعالى، أربع كلمات هي: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت»**(١).

وقوله ﷺ: **«كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»**(٢).

وقال الرسول ﷺ: **«من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين، وكبر الله ثلاثًا وثلاثين، فتلك تسع وتسعون، وتمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء**

---

(١) رواه أحمد ومسلم.

(٢) رواه أحمد والبخاري ومسلم.

قدير، غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»(١).

وفي بيان أنه لا يهلك إلا من غفل عن التسبيح قال الرسول ﷺ: **«ما صيد صيد، ولا قُطعت شجرة إلا بتضييع من التسبيح»**(٢).

وقال النبي الأكرم ﷺ: **«لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إلي مما تطلع عليه الشمس»**(٣).

وقال رسول الله ﷺ: **«التسبيح نصف الميزان، والحمد لله تملؤه، ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه»**(٤).

وقال رسول الله ﷺ: **«ألا أعلمكم ما علم نوح ابنه: آمرك بسبحان الله، وبحمده فإنها صلاة الخلق، وتسبيح الخلق وبها يرزق الخلق»**(٥).

وقال رسول الله ﷺ: **«من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حُطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»**(٦).

وفي بيان فضل التسبيح الجامع في اللفظ: أرشد الرسول الأعظم أم المؤمنين جويرية، قال ﷺ: **«لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو**

---

(١) رواه أحمد ومسلم.
(٢) رواه أبو نعيم في الحلية.
(٣) رواه الترمذي.
(٤) رواه الترمذي.
(٥) رواه ابن أبي شيبة.
(٦) رواه البخاري ومسلم.

وُزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته»(١).

وكان النبي ﷺ قد خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع إليها بعد أن أضحى وهي جالسة فيه، فقال ﷺ: **«ما زلت على الحالة التي فارقتك عليها؟»** قالت: نعم، فقال ﷺ الحديث عاليه.

وهل نجى يونس في بطن الحوت إلا تسبيحه الذي سجله القرآن: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤].

وذكر الله تعالى أن التسبيح منجٍّ للعبد حال تسبيحه، ففي قصة ذي النون عليه السلام نجد موعظة من رب العزة: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨] أي أن التسبيح سبب في النجاة.

---

(١) رواه مسلم وأبو داود عن جويرية رضي الله عنها.

شروط لا إله إلا الله

ذكر العلماء لكلمة الإخلاص شروطًا سبعة، لا تصح إلا إذا اجتمعت، واستكملها المؤمن، والتزمها بدون مناقضة لشيء منها، وليس المراد من ذلك عد ألفاظها وحفظها، فكم من عامي اجتمعت فيه والتزمها ولو قيل له: عَدِّدها لم يحسن ذلك وكم حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم، وتراه يقع كثيرًا فيما يناقضها.

وهذه الشروط مأخوذة بالتتبع والاستقراء، وقد نظمها الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله بقوله:

العلم واليقين والقبول ** والانقياد فادر ما أقول

والصدق والإخلاص والمحبة ** وفقك الله لما أحبه

ونظمها بعضهم بقوله:

علم يقين وإخلاص وصدقك ** مع محبة وانقياد والقبول لها

وأضاف بعضهم شرطًا ثامنًا ونظمه بقوله:

وزيد ثامنها الكفران منك بما ** سوى الإله من الأوثان قد ألها

وهذا الشرط مأخوذ من قوله ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه**»[١].

١- العلم:

والمراد به العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا، وما تستلزم من عمل، فإذا علم العبد أن الله عز وجل هو المعبود وحده، وأن عبادة غيره باطلة وعمل بمقتضى ذلك العلم فهو عالم بمعناها[٢].

وضد العلم الجهل، بحيث لا يعلم وجوب إفراد الله بالعبادة، بل يرى جواز عبادة غير الله مع الله عز شأنه، قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩]، وقال عز شأنه: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٦]، أي من شهد بـ(لا إله إلا الله) وهم يعلمون بقلوبهم ما نطقوا به بألسنتهم.

وقال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٩].

---

(١) البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩).

(٢) إغاثة اللهفان (ص٥٦).

وقال عز شأنه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وقال سبحانه: ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤].

وقد مدح الله المؤمنين أيضًا بقوله عز شأنه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات: ١٥].

وذم المنافقين بقوله عز شأنه: ﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٥].

وروى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة»**(١)، وعنه أيضًا أن النبي ﷺ قال: **«من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشره بالجنة»**(٢).

٢- القبول:

والقبول يعني أن يقبل كل ما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه، فيصدق بالأخبار ويؤمن بكل ما جاء عن الله عز وجل وعن رسوله

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١/ ٢٢٤).

(٢) مسلم (١/ ٢٣٧).

المختار ﷺ، ويقبل ذلك كله، ولا يرد منه شيئًا، ولا يجني على النصوص بالتأويل الفاسد والتحريف الذي نهى الله عنه، قال تعالى واصفًا المؤمنين بامتثالهم وقبولهم وعدم ردهم: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال تعالى: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وضد القبول الرد فإن هناك من يعلم معنى الشهادة ويوقن بمدلولها ولكنه يردها كبرًا وحسدًا وهذه حال علماء اليهود والنصارى كما قال تعالى عنهم: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وقال: ﴿ حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وكذلك كان المشركون يعرفون معنى لا إله إلا الله وصدق رسالة سيدنا محمد ﷺ ولكنهم يستكبرون عن قبوله كما قال تعالى عنهم: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات: ٣٥]، وقال تعالى عنهم: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣]، وكذلك كان شأن فرعون مع الكليم موسى عليه السلام، ويدخل في الرد وعدم القبول من يعترض على بعض الأحكام الشرعية أو الحدود أو يردها، كالذين يعترضون على حد السرقة، أو الزنا، أو على تعدد الزوجات، أو المواريث،

وما إلى ذلك، فهذا كله داخل في الرد وعدم القبول؛ لأن الله يقول: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، ويقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، ويدخل في الرد أيضًا من يعطل أسماء الله الحسنى وصفاته أو يمثلها بصفات المخلوقين.

٣- الانقياد المنافي للترك:

وذلك بأن ينقاد لما دلت عليه كلمة الإخلاص، ولعل الفرق بين الانقياد والقبول أن القبول إظهار صحة معنى ذلك بالقبول، أما الانقياد فهو الاتباع بالأفعال، ويلزم منهما جميعًا الاتباع، فالانقياد هو الاستسلام والإذعان وعدم التعقب بشيء من أحكام الله عز وجل قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤]، وقال عز شأنه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢]، وقال تعالى مثنيًا على خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١].

ومن الانقياد أيضًا لما جاء به النبي ﷺ والرضا به والعمل به دون تعقب أو زيادة أو نقصان قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا

قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[النساء: ٦٥].

وإذا علم أحد معنى لا إله إلا الله، وأيقن بها، وقبلها ولكنه لم ينقد ويذعن ويستسلم ويعمل بمقتضى ما علم فإن ذلك لا ينفعه، كما هي حال أبي طالب فهو يعلم أن دين محمد حق وينطق بذلك ويعترف حيث يقول مدافعًا عن الرسول ﷺ:

والله لـن يـصلوا إليـك بجمعهـم ** حتـى أوسـد في الـتراب دفينـا

فاصدع بأمرك لا عليك غـضاضة ** وافرح وقر بـذاك منـك عيونـا

ولقـد علمـت بـأن ديـن محمـد ** مـن خـير أديـان البريـة دينـا

لــولا الملامــة أو حــذار مــسبة ** لوجدتني سـمحًا بـذاك مبينـا

فما الذي نقص أبا طالب؟ الذي نقصه هو الإذعان والاستسلام.

وكذلك الحال بالنسبة لبعض المستشرقين، فهم يعجبون بالإسلام ويوقنون بصحته ويعترفون بذلك، وتجد بعض المسلمين يهشون لذلك ويطربون لهؤلاء، ويصفونهم بالموضوعية والتجرد، ولكن إعجابهم ويقينهم واعترافهم لا يكفي بل لا بد من الانقياد.

ومن عدم الانقياد ترك التحاكم لشريعة الله عز وجل واستبدالها بالقوانين الوضعية.

٤- الصدق:

هو أن يكون العبد صادقًا مع نفسه صادقًا مع ربه صادقًا في إيمانه صادقًا في عقيدته، ومتى كان ذلك فإنه سيكون مصدقًا لما جاء من كتاب ربه عز وجل وسنة رسوله ﷺ، فالصدق أساس الأقوال وسيد الأفعال ومن الصدق أن يصدق في دعوته وأن يبذل الجهد في طاعة الله عز وجل وحفظ حدوده، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وقال عز ثناؤه في وصف الصحابة رضي الله عنهم: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣].

وقد ورد اشتراط الصدق في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ: **«من قال لا إله إلا الله صادقًا من قلبه دخل الجنة»**[١].

وضد الصدق الكذب، فإن كان العبد كاذبًا في إيمانه لا يعد مؤمنًا بل هو منافق، وإن نطق بالشهادة بلسانه وحاله هذه أشد من حال الكافر الذي يظهر كفره فإن قال الشهادة لا تنجيه، بل يدخل في عداد المنافقين، الذين حكى الحق تعالى عنهم أنهم قالوا: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١]،

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٤/ ١٦).

فرد الله عليهم ادعاءهم الكاذب بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون: ١]، وقال تعالى أيضًا في شأن هؤلاء: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٨]، وقال عز شأنه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ [البقرة: ٢٠٤]، والأدلة على ذلك كثيرة جدًا وهي مبسوطة في أوائل سورة البقرة، وفي سورة التوبة أيضًا وغيرها فإذا قامت أعمال الإنسان واعتقاداته على عقيدة سليمة كان الإيمان قويًا سليمًا، وبالتالي يكون العمل مقبولاً بإذن الله تعالى والعكس بالعكس، والناس يتفاوتون في درجات الصدق تفاوتًا عظيمًا.

ومما ينافي الصدق في الشهادة تكذيب ما جاء به الرسول ﷺ أو تكذيب بعض ما جاء به؛ لأن الله سبحانه أمرنا بطاعته وتصديقه، وقرن ذلك بطاعته سبحانه وتعالى وقد يلتبس على بعض الناس الأمر في موضوع اليقين والصدق لذا نقول: إن اليقين أعم من التصديق وعلى ذلك يكون كل موقن مصدقًا وليس كل مصدق موقنًا، أي بينهما عموم وخصوص كما يقول أهل الأصول، أي أن الموقن قد مر بمرحلة التصديق.

٥- الإخلاص:

وهو أن يتقدم العبد المؤمن بالأعمال خالصة لوجه الله الكريم خالية من شوائب الشرك والرياء، يقصد بها وجه الله تعالى وابتغاء مرضاته:

أعماله وأقواله وأفعاله ليس فيها شائبة رياء، أو سمعة، أو قصد نفع، أو غرض شخصي أو شهوة ظاهرة أو خفية أو الاندفاع للعمل لمحبة شخص أو مذهب، أو مبدأ، أو حزب يستسلم له بغير هدى من الله عز وجل والإخلاص مهم في الدعوة إلى الله تعالى فلا يجعل دعوته حرفة لكسب الأموال أو وسيلة للتقرب إلى غير الله عز ثناؤه أو الوصول للجاه والسلطان، بل لا بد أن يكون مبتغيًا بدعوته وجه الله والدار الآخرة، ولا يلتفت بقلبه إلى أحد من الخلق يريد منه جزاء أو شكورًا والقرآن والسنة مليئان بذكر الإخلاص، والحث عليه، والتحذير من ضده، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٣]، وقال عز ثناؤه: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة: ٥]، وقال سبحانه: ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾ [الزمر: ١٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قول: «**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**»[1].

وفي الصحيحين من حديث عتبان: «**فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**»[2].

---

(١) صحيح: البخاري مع الفتح (١/ ٢٢٣١) برقم (٩٩).

(٢) صحيح: البخاري (١/ ١٠)، ومسلم (١/ ٦١).

ويدخل في الإخلاص اتباع منهج سيدنا محمد ﷺ، بالاقتصار على سنته وتحكيمه وترك البدع والمخالفات، وترك ما يخالف شرعه التحاكم إلى ما وضعه البشر من عادات وقوانين فإن رضيها أو حكم بها لم يكن من المخلصين.

وضد الإخلاص الشرك والرياء وابتغاء غير وجه الله عز وجل؛ فإن فقد العبد أصل الإخلاص فإن الشهادة لا تنفعه أبدًا قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣].

فلا ينفعه حينئذ أي عمل يعمله لأنه فقد الأصل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»**[1].

وإن فُقد الإخلاص في عمل من الأعمال ذهب أجر ذلك العمل.

٦- المحبة:

هي القيام بالأعمال التي هي مجمل التكاليف الشرعية باختياره دون إكراه طمعًا أن يظفر برضا محبوبه؟ إذا كان المحبوب هو الله لا إله إلا الله

---

(١) صحيح: مسلم برقم (٢٨٥).

هو الملك الحق المبين، ورسوله ﷺ الصادق الوعد الأمين، ويقدم محبتهما على كل محبة، ويقوم بشروط المحبة ولوازمها، فيجب لله محبة مقرونة بالإجلال والتعظيم والخوف والرجاء، ويحب ما يحبه الله من الأمكنة: كمكة المكرمة والمدينة المنورة والمساجد، والأزمنة كرمضان وعشر ذي الحجة وغيرها، والأشخاص كالأنبياء والرسل والملائكة والصديقين والشهداء والصالحين، والأفعال كالصلاة والزكاة والصيام والحج، والأقوال كالذكر وقراءة القرآن، ومن المحبة -أيضًا- تقديم ما يحبه الله عز وجل: على ما تحبه النفس وشهواتها ورغباتها، وذلك لأن النار حُفت بالشهوات والجنة حُفت بالمكاره ومن المحبة أيضًا أن يكره ما يكرهه الله؛ فيكره الكفار، ويبغضهم، ويعاديهم، ويكره الكفر والفسوق والعصيان، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ

أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[التوبة: ٢٤].

وقال رسول الله ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**» الحديث.

وإتباع رسول الله سيدنا محمد ﷺ قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ ﴾ [آل عمران: ٣١]، فاتباع رسول الله ﷺ: يوجب حب الرب سبحانه للعبد ومغفرته لذنوبه وضد المحبة الكراهية لهذا الكلمة ولما دلت عليه من معانٍ سامية ومبادئ قويمة إذ بها جمع شتات القلوب وصفاء النفوس وانشراح الصدور.

وهكذا حال المحبين.

وأسأل الله الحق سبحانه أن ينفع بكلمة الإخلاص المخلصين الموحدين في كل مكان يذكر فيه اسم الله تعالى من كون الله الكبير، وهذا ما أنعم الحق تعالى به ونعم الخالق سبحانه لا تحصى.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

خادم القرآن والعلم

محمد بن محمود آل عبد الله

مدرس علوم القرآن بالأزهر الشريف

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
الذكر في القرآن الكريم	٧
الذكر في الأحاديث النبوية الشريفة	١٠
منزلة الذكر	١٤
منزلة التذكر	٢١
منزلة التبتل	٣١
منزلة السكينة والطمأنينة	٣٣
السكينة	٣٣
أثر السكينة	٣٤
السكينة والطمأنينة	٣٧
قواعد في الأذكار	٣٨
الله يذكر من يذكره	٣٩
تواتر الخيرات على الذاكر لربه	٤١
الذكر أفضل الأعمال	٤١

الموضوع	الصفحة
الذكر على كل حال	٤٢
معنى لا إله إلا الله	٤٣
أركانها	٤٥
مكانة لا إله إلا الله	٤٥
ثمرات لا إله إلا الله	٤٦
كنوز الله	١١١
شروط لا إله إلا الله	١٢٧
فهرس الموضوعات	١٣٩

